كتاب

ادب العرب

في الشعر الجاهلي

بحث تحليلى لشعراء الجاهلية

كتب مقدمته حال الشعر فيه وكتب تراجم الشعراء

محمد يوسف دخيل محمود على قراعه

(مطبعة وادي الملوك بالمشماوي بمصر)

كلمة الاستاذ كريم خليل ثابت

عن الدكتور طه حسين

الدكتور طه حسين من نوابغ مصر المعدودين بل من نوابغ الشرق القليلين أن لا نكون من محبذي الدكتور طه في مبادئه السياسية وآرائه الدينية والاجتماعية ولكنه لا يسعك الا أن تعترف بنبوغه وتقدره حق تقديره

كريم خليل ثابت

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسوله الكريم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الاهداء

الى استاذى العزيز ـ الدكتور طه حسين

استاذ الادب العربي بالجامعة المصرية

هذا كتاب ، كتب (الاستاذ محمد يوسف دخيل) مقدمته ثم حالت ظروفه بينه وبين اتمامه ، فرأيت أن أقوم باعباء هذا الاتمام اجابة لطلب الناشر ، وخدمة للمباحث العلمية ، وذكراً لفضلك في اثارتها وها أنذا أقوم بهذا الواجب حباً في تقديم هذا الكتاب لك واهدائه اليك ، هدية تلميذ لاستاذه !!

محمود على قراعه

الفهرس

صفحة

الله

الاعتراف بقوة عليا مسيطرة على العالم ومحركة لنظامنا الاجتماعي أمر محتم علينا والاقرار بوحدانية الله واجب مفروض وذلك ما نرى اعتباره أساساً للبحث في نظام المجموعة البشرية وتاريخ حياتها وتطوراتها منذ اليوم الذي تكون فيه أول هيكل من هياكل الانسان . هيكل آدم عليه السلام آدم ابن الفكرة العالية . ابن الارادة المقدسة . فكرة الله وارادته يوم رأى ان الوقت قد حان لرفع الستار عن مرسح الحياة التي ظهر عليها أول ممثليها وهما آدم وحواء

نريد أن ندعو دعاة المذاهب المادية الخاطئة في أعتقادنا وفي اعتقاد الاجماع . الصائبة في وهمهم وزعمهم . نريد أن ندعوهم للتفكير قليلا في ادعاءاتهم واعتقاداتهم التي لا نشك في أنهم في اضطراب فكرى دائم من أجلها ومن أجل ما يساورهم من الشك في صحتها وبطلانها لأنهم أقاموا حجتهم على مجرد الفروض والاحتمالات مما لا مجال للبحث فيه هنا . وفاتهم أن حجة الفرض والاحتمال لا يصح أن تكون أساساً للحكم على أمر من الخطورة بمكان لا يستهان به وهو تحويل عقائد المجموعة من ناحية الاعتراف بقوة السماء المقدسة الى ناحية قوة مجهولة مفروضة هي قوة الطبيعة وان الانسان والحيوان وكل كائن من نتاجها . ولكن تلك الافكار المضطربة المتنافرة بها أدمغة أولئك الماديين لابد وأن تكون نتيجة بحث تنازعت فيه أمامهم قوتان احداهما من صنع الاخرى وهما قوة الله

وقوة الطبيعة ولكن أنصار الفكرة المادية في بحثهم انقادوا الى النظريات المادية ودرسوها ولم يرجعوا الى الشرائع السماوية وما احتوتها من نظم وأحكام لاشك ان فيها دلائل عقلية قوية كان من المستطاع الاستناد عليها لو رجع اليها فى تنازع البحث بين الفكرتين ... ولكن دعاة المادة أقاموا منهجهم على مجرد التعمق فى الفلسفة النظرية فأنكروا قوة السماء وهى — الله — بل أنكروا وظيفة الرسل والانبياء واعتبروهم مجرد أفراد كانت لهم شبه سيادة على أقوامهم الذين نشأوا بينهم . ولم يعترف الماديون بأن الشرائع التي أتى بها الانبياء من صنع الله بل زعموا ان الرسل هم الذين سنوها لتكون لهم كبرامج يحكمون بها الطوائف والامم . والابعد من ذلك انهم تعمقوا فى ضلالهم الى مدى انكار ان آدم هو بدء الخليقة البشرية واعتبروه خلف لسلف لابداية له كما انه سلف لخلف لانهاية له . وقد ذهب جماعة من شباب العصر الحديث مذهباً أضل وادعى الى الاسف مع السخرية فقالوا ما نراه لا يمكن اعتبارها فكرة أن الكتب السماوية التي أنزلت على الرسل والانبياء في العصور السالفة لم تكن سوى بدع ابتدعها أولئك الانبياء وان ما أشيرفيها الى وجود بعث وحياة جديدة بعد الموت وعقاب ونعيم كل ذلك خرافة لايمكن أن يكون لها وجود مهما أقيمت على صحتها الادلة والبراهين وأتي الرسل من الخوارق والمعجزات . وعلى مايذهبون يجب أن يكون النظام الاجتماعى متمشياً مع روح النمو والتقدم العمراني فلا يصح أن يتقيد نظام الكون بتشريع خاص قد لا يتعادل مع مقدار نهضة الشعوب ورقيها . ولعل في قولهم هذا معنى خاص يرمى

الي اسكار أحكام الشرائع السالفة لأن رقى العقل الانساني ونهوض الفكر البشرى اصبح فى درجة لا يمكن التوفيق بينها وبين القوانين التي كانوا يخضعون لها من قبل . ولقد فات أصحاب ذلك الرأي ان أغلب تلك الشرائع ان كان بعضها خاص بعصر معين وقوم مقصودين ولكن أحكامها صالحة لأن يستند عليها فى عصور غير عصورها وبين أقوام غير أقوامها . أو ليس القرآن الذي بعث به محمد بن عبد الله تشريع صح لحكم قريش وغيرهم ممن خضعوا للراية الاسلامية ويصح لأن يتحاكم به العالم فى تلك العصور الحاضرة لانه لم ينزل لزمن خاص ولا لأقوام مخصوصين وسعة أحكامه كافية لخلود صلاحيتها لحكم الشعوب الي عصور تنتهي بانتهاء الكون كما انها جاءت موافقة لاغلب النظم والتقاليد التي كان يتبعها العرب وغيرهم من الامم التي عاشت فى أزمان الجاهلية وأطوارها كما سيأتى ذكره بعد غيرة لأنصار القوانين الوضعية أعداء السماء وأحكامها ممن ينتصرون للمادة ويعملون لجعلها مذهباً شائعاً يقام على أطلال المذاهب الدينية وخصوصاً الاسلام

لنعد الى ما بدأنا به معترفين (أولا) بحقيقة وجود — الله — (ثانياً) الايمان بما جاءت به الكتب السماوية وأحكامها والرسل والانبياء الذين شرعوا بين الشعوب تلك الاحكام معتبرين — آدم — عليه السلام هو أول أولئك البشر

بدء الكون

اشارت الكتب السماوية التي تؤمن برواياتها وذكر الرسل الذين تصدق باحاديثهم ان الله سبحانه وتعالى كان قبل بدء الخليقة على عرشه في السماء من عصور لا بدء لها فلما ارادت قدرته ان يبدأ في تكوين العالم قيل أنه خلق القلم فدون جميع ماقدره في الأزل وحوادث الامم والشعوب والافراد الي يوم البعث وهو اليوم الذي ينتهي فيه العالم والكائنات ثم خلق الليل وأعقبه بالنهار ليكون استعداداً لحركة جديدة في الكون ربما كانت خلق الملائكة يعقبها البدء الحقيقي لوجود الجنس البشري بخلق آدم وحواء عليهما السلام

خلق الله الملائكة وخلق من بينهم قبيلة اختصها بخزانة الجنة اولئك هم (الجن) فقد كانوا من الملائكة الممتازين لا كما يعتقد جمهرة الناس وخاصة المسلمون منهم أنهم خلقوا للعمل والحياة التي يعيشونها الآن — من بين تلك الطائفة كان ابليس الذى اقامه الله رئيسا على جميع الملائكة حدث ان جماعة الجن أتوا ماأغضب الله فأنزلهم الي الارض فكانوا فيها مفسدين . وقعت بينهم الفتن فقتلوا بعضهم بعضا حتي ضجت منهم الملائكة الذين احتفظوا بمكانهم من السماء . ولم يشترك أبليس مع قومه في عصيان الله ولذلك بقي في مكانته ولكن كرم ربه وحلمه حرك في نفسه نزعات الشر والطغيان فظن أنه اسمى من المكانة التي وضعه الله فيها فحدثته نفسه بالعصيان وادعاء الالوهية معتمدا على ما كان يراه من طاعة الملائكة واحترامهم له بحكم رئاسته ولكن

لم تمكن فى نفسه الجرأة الكافية فبقيت تلك النزعة كامنة وهى نزعة حسد وجحود وكان فى أمكان سيده ومولاه أن يعاقبه في ذلك الظرف لانه يعلم سريرته وما يجول فى نفسه من التمنيات الخبيثة ولكنه سبحانه عظم شأنه لم يرد ادانة ابليس بمجرد النية والعزم على ارتكاب الجريمة فحفظها له وحتى لا يظن الملائكة أن سيدهم عاقب ابليس لغير جريمة رأوا أنه ارتكبها فتأجلت العقوبة ليوم كان يعلمه الله ويعلم أن فيه يجاهر ابليس بخطيئته وعصيانه

كان ذلك في اليوم الذى جرت فى آدم روح الحياة بعد خلقه وتكوينه وقد أراد الله أن يتبع خلق آدم بخلق اول نوع من انواع النظام الاجتماعى هو نظام الحكم والجزاء الذي طبقه علي ابليس كبير ملائكته حين أمرهم بالسجود لأول انسان من خلقه فكانوا جميعا طوع أمره فخروا لآدم سجدا الا ابليس فقد ظهرت طوية نفسه وجاهر بانه غير خاضع لامر ربه استكبارا وعناداً . وهنا وقعت الجريمة ووجبت عليها العقوبة وكان هذا أول مثل ضربه الله لعبده آدم ليعلمه أن الله لا يعرف محاباة فى حكمه مهما كان للمرتكب عنده من الحظوة والمنزلة فقد رأي آدم بعينه كيف طرد أبليس من رحمة الله وحقت عليه النقمة والعذاب والتشريد الي يوم نهايته الجزاء الاوفى . يوم البعث والنشور .

كان ذلك المثل خير نذير لآدم اذ شعر بأن الله قدأعده لعمل حيوي هام هو الحياة أو مافيها من جهاد وقد لاتكون له الحرية فى النجاة من تطبيق عدل ربه كما لم تكن له العصمة التي تقصيه عن ارتكاب الخطيئة فقضى آدم وقتا من حياته فى الجنة ترافقه زوجته حواء وشبح الجريمة والعقاب

ماثل امام عينيه لانه رآها طوحا بأبليس فى هاوية سحيقة القرار . أليس ذلك دليل حسي على أن المخلوق لا بد له اعتل مكرة الاجرام فى نفسه من قانون يري فيه الاندار والتهديد والارهاب والوعيد ؟

المرة الثانية يقع ما نسميه جريمة أو خطيئة والمرة الثانية تقام حدود العقاب ونتيجة ذلك ـ العدالة ـ عدالة السماء وهي التي خلقت كل شيء ووصعت نظام كل شيء . فالجريمة والعقاب والعدالة والعمران كلها من خلق الله وصنعه . وقد طبقت تلك الاحكام كلها على آدم وزوجته يوم غرر بهما ابليس فوقعا فى الخطيئة والمعصية فأخرجهما الله من الجنة عقابا لهما على ماوقعا فيه ثم كان عفوه وغفرانه عند ماتوسلا اليه بالتوبة والاستغفار اعترافا بالخطيئة

لم يكن من المقدر لأبليس أن يعيش الى الأبد في ملائكيته كما لم يقدر لآدم أن يقضي حياته وأولاده من بعده فى الجنة بل كل ماوقع كان امرا مقدرا من قبل فى سجل تاريخ الكون ووضعت خطط تلك الوقائع لتكون عظة وعبرة لأقوام وشعوب قدر الله خلقهم من سلالة آدم وحواء

نزل آدم الي الارض فأول ماوطئت قدمه منها جزيرة (سيلان) جنوب بلاد الهند على جبل (نود) وجد نفسه وحيدا تائها لايدري أين مكان زوجته وما كان معه من شيء(١) ولكن الله لم يتركه فى تشريده وآلامه النفسية لما كان يعلم عما يجيش فى صدره من مشاعر التوبة والاستغفار فأوحي اليه عن طريق الاحساس الروحى أن يسير في طريقه نحو الغرب حتي بلغ مكان من

---

(١) عن رواية من يقول بحدوث الولادة في الجنة

أرض الحجاز حيث أرتاح قلبه وشعر بأنه على وشك العثور على حـواء . فذلك المكان هو الذي يطلق عليه(المزدلفة) . حيث اجتمع بعدها بزوجته وتعارف بها علي جبل عرفات الدى سمي بهذا الاسم لتلك المناسبة .

نظام العشائر

لم يكن آدم وحواء وحدهما ليكونا عائلة لو لم يكن هناك تناسل يتكون منه أبناء وبنات يصح أن يتكون منهم نظام عائلي توطئة للتوسع فى نظام الاجتماع ولقدكان آدم حقا أول مؤسس للعائلة بالمعني المعروف والمتفق عليه . كما أنه كان من افراد تلك العائلة مؤسسي العشائر والقبائل . ذلك النظام المعروف بأنه عبارة عن مجموعة من العائلات جمعتها رابطة واحدة أما رابطة الانتساب الي حد واحد أو عادة وتقليد مشترك . ولقدكان من اولاد آدم أول من كون هدا النظام وأن كانت سنة التوسع في عددالعائلات هي التي اوجدته ولـكن هدا لايمنع من اعتبار من ظهروا على رؤوس العشائر مؤسسين لها وكان قابيل ممن كونوا نظام العشيرة كما كان شيث عليه السلام من مؤسسيها وكلاهما من أولاد آدم من صلبه . ولـكن تفاوت بعض العشائر فى التقاليد والعادات لم يكن لغير مناسبة لها علاقة ظاهرة بنفسية المؤسسين واخلاقهم لابد لنا من ذكر طرف منها فأن الخلاف الخلقي والنفسي المشاهد فى كثير من البشريين فى عصورنا الحاضرة يرجع الى جملة اسباب نخص بالذكر منها هنا حادثة تركت فى تاريخ البشر في صبيحة وجـوده أثرا في نفوس بني الانسان علي اختلاف الشعوب والطبقات . وذلك أن آدم عليه السلام بعد

نزوله الي الارض الهمه الله أن يسن لأولاده شريعة الزواج لاظهار حركة التناسل المرجو منها عمران الكون . ولقد كان من عادة حواء أن تلد توأمين ذكرا وأنثى . فكان قابيل وأخته التي ولدت معه من مواليد الجنة(١) . ولدتهما حواء قبل حادثة الخروج منها

ثم ولدت فى الارض هابيل مع أخت له وكانت شريعة آدم فى الزواج أن يتزوج كل من أولاده بشقيقة أخيه وتوأمته لحكمة ندركها اذا فهمنا معنى الزواج بأنه عبارة عن ايجاد صلة بين زوجين لم تكن موجودة من قبل حتي يمكن أن يتولد من تلك الرابطة الجديدة روح وفاق ومحبة هما أساس السعادة الزوجية . فلما عرض علي قابيل زواج أخت هابيل رفض وكبر في نفسه أن يتزوج بغير توأمته وعز على نفسه أن يترك تلك التوأمة التي ولدت معه في الجنة ليتزوج بها هابيل وذهب به حب الايثار علي التمسك بشقيقته وعدم التنازل عنها لهابيل مهما كانت النتيجه لاعتقاده ان هابيل هذا وتوأمته من مواليد الارض فلم ينالا شرف المولد وطهارته كما نالها قابيل وتوأمتـه فقام نزاع هائل بين قابيل وهابيل يدافع الاول عن حجته بسلاح نظري بحت ويدافع الثاني عن حقه بسلاح تشريعى سنـه آدم من وحي السماء . ولكن كانت نتيجة ذلك الخلاف أن تغلب قابيل علي أخيه هابيل فقتله ! وكان ذلك أول حادث من حوادث القتـل البشرى علي وجه الارض . ولقد وقف قابيل امام جثة القتيل حائرا مضطربا وقد استولي عليه الرعب

---

(١) ابن الاثير

والخزع وتملكه الارتباك فلم يدر كيف يخفى جريمته المنكرة عن عيون اخته التين كانتا موضع النزاع وداعية القتال .

ان البشر فى الواقع من ممتلكات الله يفعل بهم مايشاء فى سبيل اظهار آياته وحكمه امام خلقه ومعاذ الله أن نقصد به غير التقديس والاجلال اذا قلنا أنه يضحي بأفراد من عبيده فى سبيل عظة المجموعة وهكذا قدر لهابيل أن يموت قتيلا ليرينا أن فى سجل الحياة المقبلة نوع من تلك الجريمة ستكون وسيلة الامم والشعوب فى تكوين وحدتها . ولم تكن هداية الله لتترك قابيل في حيرته معرضا جثة أخيه للوحوش والهوام فأراد أن يضع للبشر نظاما خاصا لمواراة موتاهم فبعث غرابا نبش فيالارض امام قابيل فأدرك من هذا المشهد أن يحفر الارض حيث وارى جثة القتيل وبعدها سار كل بنى آدم علي ذلك المثل فى دفن جثث موتاهم فى باطن الارض .وقد تمكن الهلع من نفس قابيــل وشعر بعظم الجريمة فلم يطق البقاء في مكانه بل استصحب شقيقته وفر بها هاربا الى مكان قصى بارض اليمن حيث تزوج بها وصار له منها أبناء وفر عددهم وعظم سلطانهم ونفوذهم

كان دم هابيل أول دم بشري أريق علي الارض وهو الضحية الاولى التي خلقت في الوجود أول نزعة من نزعات البغضاء والعـدوان بين بني الانسان بل كل ماعدا ذلك من التفاوت فى النفسية والاخلاق والعادات وغيرها من كل خلتــين متناقضتين

ولـكن عجباً ! كيف أن قابيل وزوجته وقد ولدا فى الجنة قبل أن يرتكب ابواهما الخطيئة ومع ذلك نراه هو أول من سن سنة العداء والاجرام

الحقيقي بين البشر . ونرى كيف أن شيث الذى لم ينل شرف المولد الذي نده أخوه قايبل ومع ذلك تكون له الحظوة في خلافة أبيه فى الزعامة بل شرفه الله بالنبوة وكان من سلالته خير الرسل والانبياء واصحاب العروش والتيجان بينما استسلم قايبل لابليس الذي غرر بأبيه فاقصاه عن الجنة ووسوس له في قتل أخيه هابيل . استسلم له هـذه المرة حيث غرر به الى عبادة النار فعبدها مستنكرا وجود الرب الحقيقي الذي خلقه وخلق أباه من قبل ° سنة سيئة سنها قابيل لأولاده اذ عكفوا على عبادة النار والسجود لها من دون الله . . . هـذا قابيل ابن الجنة امام المجوسية فى باكورة الوجود . وهذا شيث ابن الارض أمام العبودية الحقة . عبودية الله القدوس .

ولم تتقيد سلالة كلا الاخوين بما ورثوه عن أبويهما من صالح الخصال وخيرها بل كثيرا ماكان يظهر من سلالة قابيل خير الامم وأعاظم الرجال وكثيرا ما كان يظهر من سـلالة شيث النبي وعلى كل حال فوجـود فارق واختلاف في اخلاق رجلين من أولاد آدم قضى على روح المساواة ليكون عنده أساس التنازع الاساسي فى الحياة



نظام القبائل

انفصل أولاد آدم عن بعضهم وتفرقوا في جهات عدة متباعدة من الارض ولكن كان أوسعهم ملكا وأكثرهم نسلا هما قايل في الجنوب وشيت في الشمال . فلما كثرت أولاد كل منها واحفادهما وازدحمت بهم البلاد التي كانوا يقيمون فيها اضطرتهم ضرورة التوسع الى النزوح كل عشيرة في جهة فنشأ من عشائر القابليين مجموعة قبائل انتشرت في جهات جزيرة العرب حتي اتصلت بقبائل الشيثيين وكان شيت قبل ذلك مقيما بارض الحجاز علي رأس قومه حيث وضع لهم نظاما تشريعي خاص استمده من الارشادات والاوامر التي نزلت عليه وعلى أبيه من السماء واستمر الشيثيون يتحاكمون بمقتضاها عصرا طويلا حتي بعد وفاة نبيهم شيث

وبحكم المتاخمة والجوار بين قبائل بني قايـل وبني شيت نشأت بعض مناوشات وحروب اضطرت أهل الشمال في النهاية للتراجع الي الوراء . ولم يستمر الشيثيون في موطنهم كتلة واحدة بل انقسموا الى قسمين فأولاد (أنوش) نزحوا الي الغرب والجنوب وامتدأولاد (حومرت) الى الشرق وكلاهما من أولاد شيث

نظام الملكية

لم يكن نظام الملكية بدعة ابتكرها انسان عن رغبة خاصة فى نفسه وانما اقتضت سنة النظام الاجتماعى وجود مثل ذلك النوع من الحكم وخصوصا فى مثل تلك العصور الغابرة ولتدلل علي ان الانسان فى كل اطواره خاضع فلذلك النظام نوضح ماهى الملكية وكيف تنشأ فكرتها . فالملكية تنحصر فى أن كثرة العشائر والقبائل أما أن يؤدي الي تكوين شعب لا بد له من رئيس يحتكم اليه . أو يؤدى الي وجود رغبة في نفوس زعماء العشائر تحملهم على الطمع فى بعضهم تكون نتيجته الحروب والمنازعات فتكون الغلبة فى النهاية لقبيلة من تلك القبائل فتصبح القبائل المنهزمة خاضعة لحكم المرىعة الي الزعيم المنتصر . وهنا تظهر السلطة الفردية . سلطة ذلك الزعيم على جملة قبائل متعددة فينتقل سلطانه من حكم قبيلة واحدة الي حكم مجموعة من القبائل خضعت له فى صورة شعب واسع تحت نظام أوسع هو نظام الملكية فلو علمنا أن النزاع بين بنى الانسان أمر مسلم بدوامه وأن السلام بين الامم والافراد لايمكن توطيده أدركنا ان الزعامة والملكية نظام يعيش مدي حياة البشر . ولقد علمنا من مراجعة كثير من المراجع التاريخية المعتمد برواياتها أن أول نظام ملكي ظهر فى الوجود كان في عهد (اوشهنج) من احفاد شيث عن ولده (انوش). فقد اشتد بأسه وعظم سلطانه وامتد نفوذه علي كل من كان حوله فخضعوا له جميعا ونودى به ملكا فكان هو أول من لبس التاج على رأسه وجمع في يده السلطة التنفيذية والتشريعية

والقضائيه . ومع أن شريعة آدم قدمضي عليها وقت كاديتناساه الناس ولكن (اوشهنج) رأى انه غير مقيد بتلك الشريعة فسن قانونا جديدا للعمل بمقتضاه فى المشكلات التي كانت تقع بين افرادشعبه .وكان هو الحاكم بمقتضى ذلك التشريع والمنفذ لما يحكم به على المجرمين من العقوبات ومع تلك السلطة الفردية لم يكن ظالما فى حكمه بل كان عادلا عاقلا أكسبه ذلك محبة شعبه ورهبة اعدائه ولذلك لقب بالملك العادل وقيد شعبه بالخضوع لمناهى شريعة آدم لما كان يري فيها من الحكم لانها منسوبة الى السماء

فى عهد (اوشهنج) توصل الانسان لاكتشاف المعادن فى باطن الارض فاستخرج منها الحديد واستعمله فى بعض الآلات وانتشرت الزراعة فى عهده

وكان الناس حتي قبل عهد (اوشهنج) يسكنون في اكواخ من الحطب وأوراق الاشجار وبعضهم كان يسكن فى كهوف فى بطون الجبال فلما تم (لاوشهنج) الملك بنى له مدينة قيل أن علي انقاضها بنيت مدينة (بابل) أو هى نفسها فاتسعت في عهد البابليين وسميت باسمهم

الوثنية

أن تكن الوثنية أنكار لذات الله الا أنها اعتراف بالسلطة العليا التي يجب أن يخضع لها الانسان وقد خضع لها الناس فى صورة الأوثان . وكان من المستطاع الاهتداء الي صاحب تلك السلطة وهو (الله) لو أنهم رأوا على رؤوسهم المرشدين من الرسل فى ذلك الظرف الذى تطرق فيه الي اذهانهم فكرة البحث عن صاحب السلطة الحقيقية رب الوجود وخالق الكون فى ذلك العصر الغابر من تاريخ الانسان أتي على البشريين عهد طالت أيامه . فبعد أن كانوا من عهد آدم ألي عهد الملك (اوشهنج) مهتدين ألي حقيقة وجود الله . ضرب عليهم النسيان سحابة من سحب الغفلة فنسوا الله ونسوا وجوده ولكنهم فى الوقت نفسه أخذوا يشغلون أفكارهم فى البحث عن سر هذا الوجود ولكن على قدر قواهم الفكرية استطاعوا أن يتخيلوا الاله في هيكل الأوثان فعكفوا على عبادتها

شاعت الوثنية فى عهد (برد) الذي تملك بعد (أوشهنج) وهي دليل تفكير طويل ولكنه انتهى بخطأ القوم فى الوصول الي حقيقة الخالق وهذا لا يمنع من اعتبار الوثنية عقيدة لا تدل علي جهل معتقيها وتقتنذ بل على تنبه عقولهم للبحث فى خلق الكون

ومع انتشار فكرة الوثنية فى ذلك العهد بقيت الشريعة الوصية التي سنها الملك (اوشهنج) سائدة محترمة فيما يختص بالمعاملات

مقاومة الوثنية

لا بد أن تكون لله حكمة عالية في وجود عقائد تنسي الخلق حقيقته حتي يكون ذلك وسيلة لبعثة الرسل الذين يطهرون حقيقة وجوده ويوقظون الاذهان الغافلة عن عباده وتوحيده . وهكذا انتشار دعوه الوثنية التي ادت الي ظهور (ادريس) عليه السلام مبعوثا من عند الله لارشاد قومه وحثهم علي الاعتراف بالله الواحد ساكن السماء .

لم يكن (ادريس) نبيا فحسب بل كان عالما وحكيما ومفكرا فهو اول من استعمل القلم وربما كان أول مخترع للرموز الكتابية خلافا لنسبتها الى غيره . وهو أول من فكر في البحث عن حقيقة الكواكب حتي اهتدي الي كنهها وفهم علومها كما انه اول من فكر في استعمال علم الحساب . وقيل أن نبوته كانت فى عهد ابيه (يرد)

جاهد ادريس ضد الوثنية جهادا طويلا حتي استمال جانبا كبيرا من معتنقيها الى الاعتراف بالله ووحدانيته فكثرت أعوانه وأنصاره فكون منهم جنودا جاهد بهم بني قابيل الذين اغاروا علي قومه من الجنوب فهزمهم ادريس واسر منهم كثيرا من الاسري الذين استرقهم وجعلهم عبيدا وموالي لكبار قومه فازدادت بذلك نار العداوة اشتعالا بين القابيليين وقوم ادريس

وقد نزل علي ادريس عليه السلام نحو ثلاثين صحيفه ولكن احكامها كانت مطابقه لشريعه آدم ولاذلك انما كانت اعادة لها ولم يكن فى شريعه ادريس ما يخالف شريعه آدم الا مسألة واحدة هى تغيير قاعدة الزواج فقد

كانت شريعة آدم كما ذكرنا مقيدة نظام الزواج فى الاقتران بالاخت الا بين التوأمين ولكن مضي الزمن وانتشار عدد البشريين وحاجة العشائر والقبائل الى الروابط والامتزاج دعا الى تخطى ذلك النظام ومنح الرجل الحرية فى التزوج ممن أراد بل كادت عادة زواج الاخت تهمل تماما. فقد تزوج ١ ادريس) من (هدانه) بنت (باويل) وهى لم تكن اختا له .

قبل أن تنتهى أيام ادريس أوصى ابنه (لمك) بالمحافظة على شريعته مالم تنزل عليه شريعة غيرها . ونصح قومه بعدم الاختلاط ببني قابيل خوفا عليهم من الوقوع فى خطاياهم .

عودة الوثنية والصابئية

عاد القابيليون بعد وفاة ادريس ينشرون دعايتهم ويغررون بجيرانهم ولكن بالرغم من نصائح (لمك) وتحذيره قومه لم يجد منهم غير اذان صماء فخالطوا القابيليين وزحوا اليهم في مواطنهم . فلما ولد (نوح) لم يجد مع أبيه غير أفراد قلائل من قومه ووجد أن عبادة الاوثان قد شاعت بين القوم من تأثير دعاية أهل الجنوب

ولم تستقل الوثنية بالسلطان بل ظهرت عقيدة دينية أخرى زاحمتها في اجتذاب عقول القوم . زعيم هذا المذهب الجديد رجل من رعية (لمك) يدعى (صابيء) فقد اقنع فكره بان الله هو آله حقيقي ولكن عدم امكان رؤيته رأي العين دعته الى اتخاذ الملائكة آلهة تقربه الي الاله الحقيقي ولكن هذا الاعتذار في عدم عبادة الله مباشرة اعتذار فيه الضعف نفسه فأن الملائكة الذين لجأ الى عبادتهم ليست لهم شخصية ظاهره ممكنة من مشاهدتهم بالعين والوثنية وأن لم تختلف عن الصابئية في انها عقيدة خاطئة الا أن فيها الاعتذار الذي يبحث عنه زعيم الصابئية فقد كانت الاوثان في ظروف كثيرة رمزاً لوجود الله وأن كان الاكثر في تاريخها انها اتخذت آلهة أولي .

وكانت شريعة ادريس وآدم لا زال العمل بهما مقررا بين الناس في أحكام المعاملات كعقوبات السرقة والقتل وماشابهها الي أن جاء عهد نوح فوضع في شريعة جديدة معايرة بعض ما كان متبعا .

الطوفان

نشأ نوح عليه السلام بين قوم يتقاتلون في سبيل نصرة مذهبين كلاهما عقيدة ضالة باطلة . فأوحى اليه الله ان يدعو القوم الى المعبود الحقيقي . ولكن عقيدة الكفر والضلال كانت قد تمكنت من عقولهم واستولت على قلوبهم فلم تؤثر فيهم دعوة نوح بالرغم من مثابرته قرونا ممدودة في نصحهم وارشادهم فلم يزدادوا الا ضلالا وطغيانا . فلما يئس من اصلاحهم دعا ربه أن يصب عليهم نقمته وعقابه فكانت حادثة الطوفان التي ما توافيها مغرقين لم ينج منهم الا من آمن مع نوح واحتمى معه بالسفينة .

فلما انحسر الماء عن الارض ونزل اليها نوح ومن معه من قومه كان ذلك العدد كاف لتكوين عشيرة بل عشائر وان كان بعض مؤرخي العصور الاولي الذين كتبوا عن حادثة الطوفان يذكرون ان كل من كان مع نوح في السفينة أصابهم الله بالعقم فلم يكن لهم ذرية من اصلابهم وانما تنحصر كل الذرية التي تكونت منها المجموعة البشرية في أولاد نوح الثلاثة (سام وحام ويافث) وهذا القول لا نستطيع الاخذ به بحال ما أذ لم يقم عليه أي دليل عقلي أو آثار القصص المذكور في الكتب السماوية أية اشارة الي ذلك . ثم لا يمكن للعقل أن يسلم بان قوما آمنوا بربهم وناصروا نبيه نوح وشاركوه في تحمل الاذى والاضطهاد وبعد ذلك يجازيهم الله بالعقم ! حقا أن ذلك غير معقول وإلا لكان وسيلة للشك في عدالة الله وهذا بعيد لا يمكن التسليم به

فاذا ما سلمنا بأن رواية العقم هذه غير حقيقية وجب أن نبعد عن عقولنا فكرة أخرى وهى انقطاع أثر بنى قايل في حادثة الطوفان . فلم لا نصدق أن نسل قايل لم ينقطع وأن له بين الشعوب والامم من تربطهم به رابطة النسب . والتصديق بذلك الرأي أقرب الي العقل والضمير من التصديق برواية انقطاع نسل من كان مع نوح فى السفينة ولقد علم لنا باجماع الرواة أن ادريس النبي لما حارب بني قايل اتخذ من أسراهم أماء وعبيدا كانوا فى حاشيته وبالطبع كانوا هم أعوانه وأنصاره والمعقول أن يكون العبد ملازما لسيده متتبعا طريقه الذى يسير فيه وعلى هذا الفرض (وهو الاصح) كان من سلالة هؤلاء الاسرى موالي لنوح حملتهم رابطة التبعية على التصديق بنبوته واعتناق مذهبه فاحتملهم معه في السفينة فكانوا من الناجين . وعلى ماراًينا من عدم قطع تناسلهم نشأت منهم ذرية اندمجت بذرية سام ابن نوح وذرية أخويه وجماعته .

ولما كان من الممكن حصر ذرية سام فى شعوب معروفة مثل العرب والفرس ومن ينتسب اليهما من الشعوب الصغيرة وذرية حام في السودانيين والبربر وذرية يافث فى بعض شعوب اوربا وشمال آسيا كالمغول والقوط والتاليين . وعلى ذلك القياس نستطيع أن نعرف لمن لا علاقة له بهذه الشعوب من الامم الاخري القاصية في الشرق نسب وصلة الي اولئك الذين نجوا مع نوح غير أولاده الثلاثة وعلى هذا نري أن حادثة الطوفان لم تضيق دائرة البحث فى معرفة أصل من تناسل منهم البشر بل هى لا تزال واسعة ولا يزال لنوح شركاء فى تبني الامم والشعوب

على أن التغير الوحيد الذي حدث بعض الطوفان أنما هو تكوين الامم تكوينا حقيقيا ادي الي انتظام الحركة الكونية فظهرت دول ذات شأن عظيم في التاريخ مثل العرب والفرس والبابليين والاشوريين والمصريين وغيرهم من الشعوب التي بكرت بالظهور في ميدان الحياة . ولقد تركت كل من تلك الدول اثرا في تاريخ العمران لايجمل معه اغفال ذكر شيء من تاريخها لولا اقتصارنا في البحث عن فكرة واحدة . هي فكرة النظم الاجتماعية . والظروف التي ظهرت فيها تلك النظم . ولما كان أعظم جانب يجب البحث فيه عن تاريخ التقاليد والشرائع أنما نراه في تاريخ العرب في العصر الجاهلي فقد رأينا أن نكتفي بما دوناه من النبذة التاريخية في تاريخ الانسان الاول الى عهد الطوفان

العرب

يمكننا أن نعين مبدأ تاريخ الامة العربية على وجه التقريب من عهد عابر اذا استثنينا العرب البائدة اذ لم يكن بينهما رابطة سوى أنهما يتصلان عند سام ابن نوح . فان (فالغ) رأس العرب المستعربة و (قحطان) رأس العرب البائدة كلاهما من ولد (عابر) ولو علمنا أن الاخوين استقل كل منهما عن الاخر لداع من دواعي المنافسة عرفنا كيف أنشأ كل منهما أمة وشعبا قائما بذاته كان له شأن يذكر في تاريخ أمة العـرب . وذلك الخلاف بين بني فالغ وبني قحطان حدا بكل من الفريقين الى استنباط لغة خاصة واتخاذ تقاليد وعادات تميزه عن الآخر متمشية مع الجو والبيئة والظروف التي يكون فيها القوم تبعا لحالة التنقل والارتحال التي اتخذوها وسيلة للعيش

كانت لغة القحطانيين هي العربية وان كنا لا نستطيع أن نعين بالضبط العصر الحقيقي لمبدأ هذه اللغة فربما لم تكن من اختراع القحطانيين بل اخذوها عن اسلافهم . ولو احتملنا رجوع اللغة العربية الى عهد آدم فليس هناك من الادلة ماينفي ذلك الاحتمال ويبعد عن افكارنا تلك الشكوك

في زمن ابراهيم عليه السلام حدث ماحمل بني فالغ على الاندماج ببني قحطان وتكوين قبيلة من ذلك الاندماج وهي العرب المستعربة . وذلك ان اسماعيل حينما نفاه والده بارض الحجاز مع والدته وفقته الظروف للاختلاط باحدى قبائل القحطانيين وهي قبيلة (جرهم الثانية) فتزوج منهم اسماعيل واستعمل لغتهم العربية حتى صارت لسانا له ولاولاده من بعده الذين اطلق عليهم العرب

المستعربة واليهم ينتسب عدنان جد النبى صلى الله عليه وسلم

ومن أشد القبائل التي نشأت من تلك الدول العربية .

طسم وجديس وعمليق وعاد وثمود . من العرب البائدة وكانوا مشتتين فيما بين الحجاز والشام ونجد واليمن . وقبائل حمير وكهلان وكنده وطيء . من العرب العاربة . وكانوا يسكنون اليمن ثم انتشروا فى انحاء بلاد العرب وقبائل مضر وربيعة وانمار واياد وهم العدنانيون بنو اسماعيل بارض الحجاز

الزواج فى الجاهلية

كان نظام العائلة فى الجاهلية قريب المشابهة به في الاسلام . فقد كانت عندهم الخطبة وعقد النكاح وأن كانت لهم فى اتخاذ الزوجات عادات لم تكن مستحسنة كزواج الرجل من زوجة ابيه ويسمى ذلك الزواج (نكاح المقت) و (نكاح المتعة) وهو اتخاذ الزوجة لمدة معينة . كما كان الجمع بين الاختين من المألوف عندهم وأن لم تذكر لنا حادثة معينة مشيرة الى ذلك ولكننا نعلم ان شريعة ابراهيم عليه الاسلام لم تحرم الجمع بين الاختين وقد كانت تقاليد تلك الشريعة شائعة بين العرب وان تناسوها من الوجهة الدينية . ولقد جمع سيدنا يعقوب بين الاختين فقد تزوج من ابنتي خاله (لايا) و (راحيل)

وكان من الانظمة التي بالغ العرب فى التمسك بها عصبيتهم فى الزواج فلم يكن من اللائق ان يزوج الرجل ابنته من غير عائلته ومادام لها ابن عم هو أولي بها من رجل غريب عن العائلة أذ كان الشاب يعتبر نفسه المالك الحقيقى لابنة عمه لاتزف لبعل سواه الا بارادته وبعد تنازله . وهذه عادة لابأس بها بالنسبة لغيرها من عادات الزواج فى الجاهلية .

وكانت الزوجة فى الجاهلية ليست لها منزلة الزوج ومكانته وان كانت له ساعدا قويا فى ظروف كثيرة فقد تراها فى الحرب جانبا من جوانب الدفاع ان لم يكن بسلاحها فبما تبثه فى قلوب الرجال من عواطف الحمية والشجاعة لأن الرجل كان يري العار فى تخاذله امام زوجته أو خطيبته . كما يري الفخر في أظهار بطولته امامها

ومن اهم ماحدث فى تاريخ الزواج في الجاهلية أن احد ملوك جديس

دفعته نزعة الظلم وشهوة الفجور الي سن نظام جديد يقضى بأن لا تزف عروس من جديس الى زوجها الا بعد ان تقدم اليه اولا ليفتض بكارتها. فصادف ان تزوجت عفيرة بنت عباد فذهبوا بها يوم الزفاف الى الملك فلما دخلت عليه قضى منها غايته فخرجت الي قومها فى دمائها وقد مزقت ثيابها كاشفة عن عرضها المغتصب وهى تقول

لا أحد أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس ،
يرضي بذا ياقوم بعل حر أهدى وقد أعطى وسيق المهر

ولما وصلت قومها وقفت بينهم بحالتها المؤلمة تقول ،

ايجمل مايؤتي الي فتياتكم وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشى فى الدماء عفيرة جهاراً وزفت فى النساء الي بعل
ولو أننا كنا رجالا وكنتم نساء لكنا لا نقر لذا الفعل
فموتوا كراما او اميتوا عدوكم ودبوا النار الحرب بالحطب الجزل
والا فخلوا بطنها وتحملوا الى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقام على الأذى وللموت خير من مقام علي الذل
وان انتم لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تعيب من الكحل
ودونكم طيب النساء فانما خلقتم لأثواب العروس والغسل
فبعداً وسحقا للذى ليس دافعا ويختال يمشى بيننا مشية الفحل

فأهاج ذلك شعور القوم واثار عواطفهم وقام الأسود بن عباد اخو عفيرة ودعا قومه الى رفع ظلم عمليق عنهم فاتفقوا علي عمل وليمة للملك فلما حضر مع خاصته واعيان قومه عاجلوهم اثناء الطعام واحاطوا بهم حتي افنوهم . . .

الولادة

اذا وضعت الزوجة غلاما ذكراً يكون ذلك يوم بشرى وسرور تقام فيه الافراح وتذبح الذبائح وتولم الولائم ويرتفع قدر الزوجة عند زوجها بخلاف ما اذا كان المولود بنتا فقد يكون يوم حزن وبلاء ترى فيه الزوجة من اعراض زوجها ما ينغصها فى معاشرته لما تلاقيه منه من الذل والمعايرة بسبب طفلتها . . .

ومن العادة التي شاعت فى الجاهلية وأد البنات أو نفيهن في الجبال يرعين الأبل لايهتم بأمرهن ولا يفكر فى شأنهن . ولكن اذا ما كبرت البنت وترعرعت تحولت عاطفة الوالد من كراهيه الي حب يزداد تبعا لمقدار نباهة البنت وجمالها .

***

وكان الوشم معروفا في الجاهلية وشائعا بين النساء خلافا لمن يقدم زمنه الى مابعد الأسلام واليك دليل علي وجوده فى الجاهلية ماذكره طرفة ابن العبد في قوله :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

الختان

عرف الختان فى الجاهلية من عهد ابراهيم عليه السلام فاتخذه العرب عادة جارية . فكانوا يختنون الطفل قبل بلوغه الحول الاول . كما كانوا يختنون البنات وان كانوا اقل اهتماما بهن في ذلك لضعف مكانتهن

الميراث

كانت قاعدة التوارث في الجاهلية غير مقيدة بنظام خاص بل كان ذلك متروك الى ارادة المورث ورغبته فأما ان يتحالف رجلان علي ان يكون لأحدهما ما للآخر من المدافعة والمطالبة بالدم فى حالة قتل احدهما فمن مات منهما قبل حليفة آلت اليه ثروته وميراثه ثم كانت عادة التبني متبعة عندهم فكان اذا تبني الرجل ولدا من غير صلبه ورباه بين أولاده صار للولد الحق فى ميراث مربيه كما عليه ما على اولاد مورثه من الواجبات

وقد يغالي بعضهم فى حرمان اولاده الصغار وزوجته من ميراثه ويهبه لمن اشتهر بالبطولة والشجاعة من قبيلته فكان للفرسان في الجاهلية ثروة طائلة تأتيهم من ذلك الطريق .

الطلاق

كان عقد النكاح فى الجاهلية بيد الرجل ولذا كان بيده أيضا طلاقها . وكان الطلاق علي انواع منها .

(طلاق المراجعة) فكان الرجل يطلق زوجته حتي اذا بانت راجعها ولم يكونوا مقيدين بمرات معينة فى الطلاق ولذا كان الرجل يطلق زوجته ويراجعها مرات متعددة حتي كانت المرأة اسيرة فى يد زوجها . ولكن كان اعيان العرب يستحيون تعدد الطلاق والمراجعة فلم يكن الرجل الشريف يطلق زوجته اكثر من ثلاث مرات وبعدها لا يقربها . وكانت هذة شريعة ابراهيم عليه السلام

(طلاق الظهار) وهو الانفصال النهائي بين الرجل وزوجته فلا تحل له بعد . . . وذلك بقوله لها « انت علي كظهر أمي »

(طلاق الايلاء) وهو ان يطلق الرجل زوجته لمدة معينة فلا يجوز ملامستها حتي تنقضي هذه المدة

ولم يكن للمطلقة الحق في الزوج الا بعد وفاة العدة المعروفة عندهم . وأما من توفى عنها زوجها فكانت عربا سنة كاملة تمنع نفسها أثناء ذلك من التزين بزينة النساء . كما سنبين ذلك في العادات المنسوخة

عقوبة المجرم

كانت أذا وقعت جريمة من جرائم القتل أو السرقة أو غيرها وحامت الشبهة على رجل من قبيلة المعتدى عليه أو قبيلة أخرى يطلب صاحب الحق من شيخ القبيلة التي ينتمي اليها المتهم فتنعقد لذلك هيئة قضائية برئاسة الشيخ وعضوية بعض اعيان القبيلة . فاذا ثبتت أدانة المتهم طبقت عليه الأحكام المتبعة وهي.

(قطع اليد) علي السارق

(الرجم) علي الزاني أو الزانية

(القتل) علي القاتل عمداً

وقد يستبدل حكم الاعدام بدفع فدية لأهل المقتول وهي الف بعير اذا كان المحكوم عليه من أشراف العرب ومائة اذا كان من عامتهم. وقد يعجز المحكوم عليه احيانا عن دفع الدية لعدم القدرة فكانت تدفعها له أفراد قبيلته متعاونين لانقاذه من عقوبة الأعدام . وكان أمير القبيلة هو صاحب

الحق فى اصدار الحكم وتنفيذه كما كان للمحكوم عليه الحق فى استئناف الحكم بتقديم ضمانة كافية . أذا كان لديه أدلة يريد تقديمها لنفى التهمة عنه . . .

هتك العرض

قل أن تحدث جريمة من هذا النوع فى الجاهلية والا فقد تكون نذير الويل والحرب بين قبيلة المعتدى وقبيلة المعتدي عليها قد تفني فيها مئات الرجال انتقاما لعرض البكر ودفاعا عن شرف القبيلة وسمعتها

العادات المنسوخة

وهل هناك تشريع أجل وأعظم من القرآن وقد طهر معظم التقاليد والعادات الجاهلية مما كان يشوبها من أمور كانت متفشية بين قبائل العرب ولكنها كانت نقصا وعيبا يشوه جمال الاخلاق البدوية الكريمة .والقرآن كما سنذكر قانون خضع له العرب ودفعهم هذا الخضوع الي التحلي عن عقائدهم وعاداتهم التي قضى القرآن ببطلانها أو رأى العرب استهجانها فا طلوها . وأهم تلك العادات

(١) الكهانة وهي الاخبار عن الغيب اذ كان الكهنة يستعينون بالشياطين (١) علي استراق السمع من السماء وقد كان فى الجاهلية كهنة يعتمد العرب كلامهم

---

(١) وتؤيد هذه الرواية قوله تعالى (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)

ويثقون بأخبارهم . واعجب ماوصل الينا عن طريق الرواة ان هند ابنة عتبة بن ربيعة كانت زوجة رجل يقال له الفاكه بن المغيرة المخزومى . وكان له بيت خاص للضيافة يأوي اليه الناس من غير اذن . وصادف ان الفاكه اضطجع مع زوجته هند في دار الضيافة في يوم لم يأو اليه أحد ثم نهض الفاكه من جوار زوجته وخرج لقضاء حاجة له ثم أن رجلا ممن اعتادوا ارتياد البيت اقبل كعادته ودخله فلما أبصر هند رجع مدبرا فابصره الفاكه فداخله الشك فى زوجته وأقبل عليها فركضها برجله وهو مدفوع بغضب الغيرة فاستيقظت من نومها . فقال لها — من ذا الذي خرج من عندك — فقالت لم أر أحد وانت الذي انبهتني — فقال لها — اذهبى الى بيت ابيك فأقيمى عنده — فلما ذهبت هند الى بيت أبيها وفشى الحديث حول هذا الحادث بين العرب تكلم عتبة بن ربيعة والد هند مع زوجها الفاكه وقال له — أنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن — فخرجا فى وفد من قومهما الي اليمن يقصدان احد كهنتها ومعهما هند بين بعض النسوة فلما قاربوا موضع الكاهن قالت هند لأبيها — أنكم تأتون بشرا يصيب ويخطىء ولا آمنه ان يسمني ميسما يكون علي سبة — فقال أبوها سأختبره لك — وصفر لفرسه — حتي ادلى أدخل فى احليله حبة حنطة — فلما دخلوا على الكاهن قال عتبة . أنا قد جئناك فى أمر وقد خبأت لك خبأ اختبرك به — فانظر ماهو — فقال الكاهن (ثمرة فى كمرة) فقال عتبة — أريد أبين من هذا — فقال (حبة بر فى أحليل مهر) فقال له عتبة انظر فى أمر هؤلاء النسوة فجعل الكاهن يدنو من كل منهن فيضرب بيده علي كتفها و يقول انهضى حتي انتهى الي هند فقال لها (انهضى

غير رسحاء ولا زانية . ولتلدن ملكا اسمه معاوية) فاغتبط الفاكه لذلك وقام اليها فرحا لزعمه أنه أب ذلك الملك فأخذ بيد زوجته ولكنها جذبتها منه بكبرياء وأنفة وقالت — اليك عني ! فوالله لاحرص على ان يكون من غيرك فطلقت منه وكان ما كان من تزوجها من أبي سفيان بن حرب فولدت له معاوية وصدق تنبؤ الكاهن اذ انتهي الامر بمعاويه فدامت له الخلافة وملك المسلمين كما سيأتي

ومما يدل علي مقدار مكانة الكهنة ان جماعة منهم اخبروا بمبعث النبي صلي الله عليه وسلم قرب ظهوره منهم الراهب بحيرا وسطيح الكاهن وقس بن ساعدة الايادي خطيب العرب المشهور في العصر الجاهلي وسيف بن ذي يزن . فكل هؤلاء اشاروا الي مبعث النبي وصدقت تنبآتهم

(٢) الزجر والطيرة . كان العرب اذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتي يطير . فان طار يمينا كان له حكم وان طار شمالا كان له حكم وان طار اماما كان له حكم وان طار رأسا كان له حكم ولذا سميت الطيرة وكان اشهر الطيور المتشائم بها الغراب ثم تعدوه الي بعض الحيوانات وكذا الحادث في حال حدوث كسر او نحوه . وان لم يرد في القرآن نص صريح بابطال الزجر والطيرة ألا أن السنة قضت ببطلان حكمها بقوله صلي الله عليه وسلم (أقروا الطير في وكناتها)

(٣) الميسر . وهو ضرب من القمار كانوا يستعملونه في اقتسام لحوم الذبائح بحسب اقداح يضربونها وكان لكل قدح نصيب معلوم . وهي احدي عشر قدحا سبعة تربح ان فازت وعليها الغرم ان خابت وأربعة تغفل بها القداح

وهي لاتربح ولاتخسر . فالسبعة ذات القيمة هي . الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل ثم المعلي وهو اوفرها حظا ولذا ضرب به المثل فقيل (القدح المعلي)

(٤) الازلام . وهي ضرب من الطيرة وهو أنهم كانوا اذا أرادوا فعل أمر أو رغبوا في معرفة ما له من النجاح والفشل أخذوا اقداحا مكتوبا على بعضها ـ افعل وعلى بعضها ـ لاتفعل ـ وعلى البعض نعم أولا ـ وغيرها من الفاظ التفاؤل المتباينة المعنى فاذا اراد أحدهم سفرا مثلا أتى سادن الاوثان فيضرب له بتلك القداح ويقول (اللهم أيها كان خيرا له فاخرجه) فما خرج له وجب عليه العمل به . وكان اذا اختلف رجلان من العرب على حق اختار كل منهما قدحا باسم خاص فمن خرج قدحه فهو صاحب الحق .

والميسر واقتسام الانصبة بالقداح والازلام ورد في القرآن نص صريح ببطلانها وذلك في قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)

(٥) البحيرة . وهي ان الناقة اذا نتجت خمسة ابطن عمدوا الى الخامس بشرط أن يكون انثى فشقوا أذنها وتركوها فلا يحمل عليها شيء ولا يجز وبرها وتكون البانها للرجال دون النساء فان ذبحت لايذكر عليها اسم الله

(٦) السائبة . وهي ترك الرجل بهيمة أو عبدا مثلا فيكون الانتفاع بذلك وقفا على جميع الرجال دون النساء

(٧) الوصيلة . وهي ان الشاة اذا ولدت سبعة ابطن أخذوا السابع فان كان ذكرا ذبح وأن كان انثى تركت وان كانت البطن السابعة توأمين

ذكراً وانثي يقولون حينئذ (وصلت أخاها) واصبح ذبحها حراما ولبن الانثي للرجال دون النساء

(٨) الحام . وهو اذا صار للجمل عشرة ابطن من اولاده قالوا (حمى ظهره) فيترك ولا ينتفع به في شيء ولا يمنع ماء ولا مرعى

والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام ورد النص القرآني بابطالها في قوله تعالي (ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولا وصيلة ولا حام)

(٩) اعلاق الظهر . كان الرجل اذا تكامل عدد ابله مائة عمد الى البعير المكمل للمائة فينزع شيئا من فقراته ويعقر سنامه حتي لا يركب ويسمى ذلك باعلاق الظهر ومن رأى البعير علي هذه الصورة علم ان ابل صاحبه قد بلغت المائة

(١٠) التفقئة والتعمية . كان الرجل اذا بلغت ابله الفا فقأ عين الفحل . وان زادت عليها اعماه ففقء العين الاخرى وفى زعمهم ان ذلك يدفع العين عن الابل

(١١) رمي البعرة . اذا ماتت زوج المرأة دخلت مخدعها ولبست ثيابا خلقة ولا تتطيب حتي يحول على موت زوجها حولا كاملا . ثم يؤتى لها بدابة فتتمسح بها . وكل حيوان تتمسح به لا بد أن يموت (١) ثم تعطي بعرة بعد ذلك فترميها . ثم هي بعدئذ في حل من أمرها تلبس ماتشاء وتستعمل ما تريد من طيب أوسواه — وقد ورد في القرآن نص ببطلان ذلك بقوله تعالي « والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة أشهر وعشرا » وهذا تحديد لمن مات عنها زوجها وهو النظام الذي

(١) وهذا مما يستوجب الدهشة وهو من الادلة على أن المصريين وحدهم لم يكونوا أهل العجائب وغرائب الامور بل ان حوادثهم أكبر دهشة وغرابة

اتبع فى الاسلام

(١٢) وأد البنات . وهي عادة لم يكن أدل منها على مقدار غيرة العرب وخوفهم من العار وأن كان بعضهم يقصد بالوأد ملاقاة الفقر — وكان أول من سن هذه السنة قيس بن عاصم المنقرى وقد كان من أعيان قومه وذوى المكانة فيهم . وسبب ذلك ان النعمان بن المنذر عزا قوم قيس وسبي نساءهم وأولادهم فلما انتهت الحرب وطلب أهل السبايا بناتهم قال النعمان كل امرأة اختارت أباها ردت اليه وكل من اختارت صاحبها تركت معه . فكلهن اخترن آباءهم الا ابنة قيس فانها اختارت صاحبها عمرو بن الجموح فنذر قيس بن عاصم أنه لا يولد له ابنة الا قتلها مدفوعا بحمية الغيرة على شرفه وعرضه ومن ثم صارت عند القوم عادة من عاداتهم العامة . ولكن القرآن أبطل تلك العادة سواء كان الدافع اليها العار أو الفقر بقوله تعالى (واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) وقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا)

(١٣) حبس البلايا . اذا مات الرجل يشدون ناقته الى قبره و يوثقون رأسها الى حلقها وهي مغطاة بردعتها فاذا استطاعت التخلص من عقالها لم تمنع ماء ولا مرعى . وكان يزعم العرب أن الناقة بهذا العمل تحشر مع صاحبها للبعث ليركبها

(١٤) الاخذ بالثار اذا قتل رجل حرم علي نساء قومه أن يبكينه حتي يؤخذ بثاره

(٥٠) ... الارب
لا ... لشعرائهم
و ... لا كسب أرس
(١٠) ... أي حوض السمرة ... كانوا يتعدون
أن ... الحي ... كل
... في ...
... ا ... حوض السمرة
) ... أنّ ال ... .
... في ... في
... كا ... ر أن لا ل
اذا أعم ... (...) ... الاحر
... .
وكا ... كدى ... يكون عيره ... راكم
(١٩) ... المرأة المقلات (١) اذا وطئت
قتيلا ... أولادها . قال ... أبي حزم فى دلك .
يطال مقاليت النساء يطأنه   يقلن ألا ياتي على المرء مئزر
(٢٠) مسح ... الطروف سبع مرات ليسكن ... ها
(٢١) ... وهو فى عرف من يعدون قدرته على الكلام واتيان

(١) ... وهي التي لا يعيش لها ولد

ما يأتي به الشعر من الاهتمام . وهو بهذا الوصف ... أسماء ... العرب ... وقد أدى ... وسائرا أنه رأى ... حادثة ... قوله في ...

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(٢٢) امامة . كانوا يزعمون أن ... من رأسه طائر ... فيصيح ... حتى ... قال ذو الاصبع

يا عمرو الا تدع شتمي ومنقصتي اضربك حتى تقول الهامة اسقوني

(٢٣) ذهاب حصر الرجل كانوا يزعمون أن الرجل اذا احصر ... ذكر أحب الناس اليه ذهب عنه الحصر

(٢٤) رمي سن الصبي . كانوا يزعمون أن الصبي اذا اثغر ورمى سنه في عين الشمس وقال (أبدليني بها أحسن منها) لا يصيب أسنانه عوج ولا ثرح . قال طرفة بن العبد .

بدلته الشمس من منبته بردا أبيض مصقول الأثر

(٢٥) عرق الفرس المهقوع (١) كانوا يزعمون أن الرجل اذا ركب فرسا مهقوعا وعرق تحته يعلم أن حليلته قد اغتلمت (٢). قال الشاعر.

اذا أعرق المهقوع بالمرء اسطت حليلته وازداد طير عجانها

(٢٦) جز ناصية الاسرى. اذا أرادوا اطلاق أسيرهم يجزون ناصيته قالت الخنساء.

جزوا نواصي فرسانهم وكانوا يظنون أن لاتجزا

* * *

هذه بعض عادات العرب في الجاهلية ومع أن قانون الاسلام وحضارته قضت عليها لعدم التوفيق بينها وبين العقول المستنيرة وتنور الاسلام. الا أننا مع الاسف والعجب لانزال نرى أغلب تلك العادات شائعاً في كثير من الشعوب الاسلامية وخصوصا في مصر حيث لاتزال العامة يعتقدون بصحتها ويؤمنون بها كما كان يؤمن عرب الجاهلية قبل ثلاثة عشر قرنا

---

(١) الفرس المهقوع هو الذي تكون حول عنقه دائرة يقال لها الهقعة
(٢) اغتلمت، طلبت الرجال

الديانة

كانت شريعة ابراهيم قد شاعت بين العرب فاعتنقها كثير منهم كالقحطانيين والعدنانيين وكانت أحكام تلك الشريعة هى المعمول بها . ولكن لطول العهد عليها تناساها أغلب قبائل العرب وضلوا عن الحقيقة المقدسة . فاختلفوا فى اتخاذ الآلهة فعبد بعضهم الكواكب والبعض عبد الليل والنهار لاعتقادهم أن الاول اله الشر والثانى اله الخير وسمى هؤلاء « الثنويون » . ومنهم من انكروا وجود الله على أى نوع وانكروا البعث والحساب وهم « الدهريون » .

وكانت اليهوديه قد ظهرت واعقبتها المسيحية فاعتنقها بعض القبائل وعملت بأحكامها وكانت الوثنية قد شاعت فى قريش وكثرت عبادة الاصنام وذلك لما دخل عمرو بن لحى مكة كان أول من أقام عليها الاصنام وشايعته اغلب العرب حتى عظم شأن الوثنية واستقلت كل قبيلة بصنم خاص لها . وكان أشهر هذه الاصنام (اللات) و(العزى) و(نسر) و(مناة) و(يغوث) و (يعوق) و (هبل)

• لقد أدى تعدد العقائد الدينيه الى خلق فتن ومنازعات بين القبائل وخصوصا عند اصطدام المسيحية باليهودية وتنافر انصار الديانتين وتنابذهم فمن ذلك أن (ذا نواس) أحد ملوك الحميريين باليمن تشيع لليهودية وناصرها فلما عصى بنو (نجران) امره واعتنقوا المسيحية اضطهدهم وعذبهم وعمل لهم اخدودا من نار القاهم فيها أحياء حتى أفناهم ولم ينج منهم الا رجل

يقال له ([illegible]) عند النجاشي ملك الحبشة وكان مسيحيا فطلب منه [illegible] ذي نواس . فأرسل النجاشي جيشا بقيادة (أرباط) الى اليمن [illegible] ذو نواس ومات غريقا في البحر واستولى ارباط على البلاد ثم حكمها بعده [illegible] جيشه (ابرهة) كان ماكرا [illegible] طامعا . فقد حكى انه بعد [illegible] ملك اليمن [illegible] ذي يزن من أشراف اليمن فاغتصب منه [illegible] فولدت له « مسروق » وكانت [illegible] » . فلم يتحمل ذو يزن آلام [illegible] من اليمن ولجأ الى كسرى ملك الفرس مستنجدا فلم ينجده . [illegible] ولما سيف في حجر ابرهة معتقدا انه أبوه ولكن [illegible] اخوات سيف [illegible] أباه [illegible] عن [illegible] . [illegible] حتى مات ابرهة وآل [illegible] الى ابنه [illegible] كسرى [illegible] في الطريق عند خروجه من ديوانه [illegible] « [illegible] ميراث » فسأله كسرى « من أنت وما ميراثك » [illegible] « أنا ابن الشيخ اليماني الذي وعدته النصرة » فقال بابك تلك [illegible] » [illegible] حتى أمده بجيش حارب به الحبشيين حتى [illegible] عن [illegible] وعاد اليه ملك اليمن .

الحروب والغارات

كانت جزيرة العرب في ثوران دائم وغارات لا تنقطع حتى انهكت الحروب قوى القبائل فعطلتهم عن مجاراة بعض الشعوب التي أخذت شوطا بعيدا في طريق العمران والحضارة كالمصريين والرومان واليونان . بيد أن تلك الخسارة التي خسرها العرب بسبب انصرافهم الى المنازعات قد استعاضوا عنها بمميزات ومكارم قل أن تجاريهم فيها أمة من الامم المعاصرة .

فقد سمت شاعريتهم سموا كنت ترى منه جزيرة العرب مدرسة جامعة للشعر والآداب . كما أكسبتهم طبيعة البلاد ونظم حياتهم البدوية عادات وطباع اعتبروها من مستلزمات قوميتهم فالكرم المفرط . ونجدة المستجير وحماية الجار . وحب الانتقام . كل تلك المحامد وغيرها جعلت من الحرب في الجاهلية شانه نظم اجتماعية يترتب على الخروج عن أحداها خزي وعار يلتصق بصاحبه طول حياته

وأعظم الحروب شأنا في تاريخ العرب والتي كان لها تأثير بالغ في حياتهم القومية والادبية هي حرب ذي قار وحرب البسوس . وسنأتي على ذكر كل منهما في الموضع المناسب

الوحدة السياسية

هناك نتيجة ذات شأن خطير في تاريخ العرب · تلك نتيجة الثورات والحروب وضعف القوى ثم غارة الحبشة على بلاد اليمن اعتماد على هذا الاضمحلال والخور . ولو علمت كيف أن النير الاجنبي هو جذوة وطنية تلتهب نارها عند اشتداد ظلم الاجنبي لادركت ما ألت اليه الروح الوطنيه في جزيرة العرب يوم وقعت في يد (أبرهه) الحبشي وما كان العرب يومئذ ليحتملوا حكم الاجنبي وهم ممتازون بالآباء والانفة

استيقظ سيف بن ذي يزن من رقدة الطفولة واستقبل صحوة شبابه ولكنه وجد العرب تحت نير الحبشة وهذا أمر يتنافى مع ما كان يسمع به في طفولته من شمم العرب وأبائهم فكان لا بد له من ان يتحرك أمام الشعور بالغيرة الوطنية وخصوصا لما علمه من اغتصاب أبرهة لوالدته كما أسلفنا واتخاذها زوجة له فقام قومته وصاح في وجه الحبشة صيحته فكانت حركة وطنية وكانت زعامة قوية تولاها سيف بن ذي يزن زعيما فتيا عرف كيف يعمل في سبيل قضية العرب بعقل وتدبر فلم يفته أن الحروب الكثيرة الماضية ثم تحكم الاجنبي قد أنهك قوى العرب المادية . فليس من الحكمة أن يزج بقومه في حروب قد لا تحسن عواقبها ولهذا رأي خير وسيلة يلتجيء اليها أن يستعين بدولة قويه من الدول المتاخمة لجزيرة العرب فذهب الى دولة الرومان فخيبت رجاءه وثبت بعد ذلك أن احتلال الحبش لليمن كان بتشجيع حكومة الرومان .

فحول سيف بن ذي يزن وجهته الى ملك الفرس فأجابه الي سؤاله وأحسن كسرى وفادته وبعث معه جيشاً عظيما حارب به الحبشة فهزمها وطهر بلاد العرب منها وبذلك عادت للعرب حريتهم ونصب الزعيم سيف بن ذي يزن ملكا عليهم

والى هنا لا نستطيع أن نقول أن العرب قد توحدت قواهم تماماً فان الدور الذى لعبه سيف بن ذي يزن مع الحبش وابعاده البلاد منهم لم يصل بالعرب الي النتيجة المطلوبة بتمامها وانما تمكن العرب من استرجاع بعض قواهم المفقودة .. وكان النزاع بين القبائل لا تزال آثاره باقية . وانما حدث حادث جديد يصح اعتباره أساس الوحدة السياسية التي جمعت العرب وأشعرتهم بأنهم أمام دول أجنبية ليس فى استطاعتهم مقاومتها الا بقوة واحدة لا تتوفر لديهم الا بالاتحاد التام . . . . ، وذلك أن الفرس بعدوفاة سيف بن ذى يزن طمعت فى ملك العرب فبسطت سيادتها عليهم تنفيذا لنسيدة المعروف من قديم وهو (السيادة للقوة) وتجاوز الفرس حد الاعتدال في معاملة العرب فقتلوا ملكهم (النعمان) وهو الامر الذى زلزل قواعد السلام فى البلاد وأهاج العرب ودعاهم الي الثورة متحدين متكاتفين . فقاموا على هذا النظام الحافل بالقوة فى وجه الفرس وحدثت بينهم حرب طاحنة لم يسمع بها الفرس من قبل لانها كانت أول حرب انهزموا فيها أمام العرب وولوا من طريقهم مدبرين وهذه هي الواقعة المشهورة المعروفة باسم (حرب ذى قار)

وكان هذا النصر العظيم الذى ناله العرب سببا فى تذوقهم لذة الاتحـاد والتحقق من مزاياه ولذا بدأوا يظهرون أمام الدول المجاورة فى مظهر دولة قوية ذات وحدة سياسية وان لم تدم دعائم هـذا الاتحاد الا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم كما سيأتي

الشعر الجاهلي

سنكتب عن الشعر في الجاهلية ولكنا في عصر ظهرت فيه أفكار جديدة يرى أصحابها في انكار هذا الشعر الجاهلي وسواء كان دعاة هذا الرأي يدفعون الى ما يرون عن أناة نشأت عن بحث واستقراء أو انهم مدفوعون بروح الثورة على العرب وآدابهم فما علينا الا أن نسلك في بحثنا مسلك الانصاف للعرب والخضوع للحقيقة والضمير . ونود أن نمر على هذا الموضوع مرورا لا يشتم منه رائحة التحدي ولكنها نزعة الغيرة على الحق تدفعنا للتحكك بفكرة انكار الشعر الجاهلي وانتحاله كما سنأتي على ذكر كثير من أخبار شعراء الجاهلية وشعرهم

هذا الشعر الذي يقال بانتحاله برأيه تحول الى أسماء في الجاهلية قد لا يكون لأغلبها مسمى . وكيف يستطيع طالب الأدب أن يقتنع بهذا الرأي وهو يعلم أن العصر الذي قيل بانتحال هذا الشعر فيه عصر مشحون بكثير من الامور التي تحول دون هذا الانتحال فالعهد الاسلامي أما عهد حافل بالحروب والغزو والتنقل الى أماكن يستحيل معه على الشعراء أن يشتغلوا بهذا الغير وما ينسب اليه من شعر . ثم اذا كان عهد سلام فالسلطان للأدب والأدباء . وما نظن شاعرا بارعا يحب التضحية لنظم ديوانا حافلا ببديع الشعر ثم يجعله تاجا مرصعا بلآلىء الأدب ليتوج به رأس انسان كان له وجود في العصر الجاهلي أو لم يكن له هذا الوجود من قبل . ومن يكن

هذا الانسان الفدائى الذي يضحى بملكته الشعرية فى سبيل عظمة انسان قديم بريء من قول هذا الشعر أو الوجود بريء من هذا الانسان ؟

وأظن فى هذا الدفع كفاية لاقناع من قد تضطرب عقيدته فى حقيقة الشعر الجاهلى بأنه لا انتحال فيه وأن أولئك الاشخاص الذين نسب اليهم الشعر الجاهلى هم أصحاب هذا الشعر وهم ناظموه ولعلنا نوفق الى ادراك حجة الاقناع التي نريدها من خلال بحثنا في تاريخ شعراء الجاهلية وأشعارهم والظروف التي ظهر فيها هؤلاء الشعراء

نشأة الشعر الجاهلى

أول عصر ظهر فيه الشعر مستعملا في القصائد والمطولات هو عصر مهلهل التغلبى من بني وائل (فخذ من ربيعة) وهذا رأى بعض من كتب عن تاريخ الشعر العربى ولكننا نستنتج من حالة شعر مهلهل نفسه المعتبر رأس الشعراء النظاميين أن روح الحماس وحسن الاسلوب والصياغة فى شعره دليل على أنه كان يسير فى طريق مسلوك من قبل وألا لكان شعره غير ما نراه وليدا ناشئا .

ولا يبعد أن يكون هناك شعراء فطاحل نظموا الشعر وقصدوه وكان له عندهم من المكانة والاهتمام ما كان له عند المعروف لنا من الشعراء غير أن ظلمة ذلك العصر الذي ظهروا فيه حالت دون وصول شيء من أخبارهم وأشعارهم الي الرواه ويذكر لنا أصحاب الرواية فى الشعر أسماء بعض الشعراء السابقين لمهلهل التغلبى ويؤكد هؤلاء الرواة أن أولئك الشعراء قالوا الشعر ونبغوا فيه غير أن شعرهم كان أقرب الي المقطوع منه الي المطولات فمن هؤلاء الشعراء العنبر بن عمرو بن تميم وأعصر ابن سعد بن قيس عيلان والافوه الاودى وابن حزام .

ويشهد امرؤ القيس أن هناك شعراً قبل شعر خاله مهلهل فيه من المعانى والخيال مافى شعر المتقدمين فى قوله .

عوجا على الطلل المحيل لعلنا   نبكى الديار كما بكى ابن خزام

اعتراف صريح بأن ابن حذام الشاعر الجاهلي القديم الذي ظهر قبل مهلهل التغلبي قال الشعر وبكي الديار كما بكاها امرؤ القيس ثم اليك قول عنترة العبسي — في مطلع معلقته

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

فرو يرى أن الشعراء الاقدمين لم يتركوا نقصا في الشعر يحتاج الى اصلاح

ثم قول زهير بن أبي سلمى

ما أرانا نقول الا معارا أو معادا من لفظنا مكرورا

وفيه اعتراف بان ما يقوله الشعراء لم يكن الا اعادة وتكرار لما قاله شعراء سابقون . ولا نظن أديبا أو طالبا في الادب يعتبر قول عنترة وزهير عائدا على من سمعوا من شعراء الجاهلية القريبي العهد بهم مثل مهلهل وطرفة ، ذلك لأن كلام عنترة وزهير يتكلم بلسانه وبلسان أهل جاهليته من الشعراء وهما انما يقصدان من سبق مهلهل من شعراء الجاهلية الاولى

مهلهل وحرب البسوس

ولما كان مهلهل(١)هو أول من وصل إلينا خبره ممن نظموا الشعر المطاول لا سيما وأن شعره كان صورة للعصر الذي وجد فيه وهو عصر دموي ثوري نرى أن مقتل كليب التغلبي ثم الحزن العميق الذي تملك عاطفة أخيه مهلهل ومشاعره ثم العصبية الفردية التي تأثرت بها نفوس بني تغلب . كل ذلك كان شعر مهلهل التغلبي مرآة له . فقد كان شعر المراثي ، شعر الانتقام ، شعر الثورة ! ! والعصبية الجاهلية بتمام معناها تصورها لنا حرب البسوس . فإن قتل جساس بن مرة البكري لكليب التغلبي حدث نتيجة انتقام لناقة قتلها كليب لسعد الجرمي وكان جارا للبسوس خالة جساس كما هو مشهور . فتلك الحدوة الضئيلة ونقصد بها قتل الناقة تودي بحياة رجل من أشراف العرب ثم تشتعل نار تلك الحدوة فتعم قبيلتين تتصلان بصلة القرابة والمصاهرة دليل على أن العصبية لا تقف الروابط الأخرى في سبيل اخماد نائرتها فقتل كليب حي على بني بكر وبني تغلب حربا قيل مكثت أربعين عاما

وكانت تلك الحرب الجاهلية الوطيس ذات أثر عظيم في أطوار عاطفة مهلهل واستظهار تلك العاطفة في شعره وتحت تأثير دم كليب وحرارة الانتقام ظهر مهلهل شاعرا ثائر النفس تلمس ذلك في مراثيه لأخيه التي منها

بت ليلي بالأنعمين طويلا أرقب النجم ساهرا أن يزولا
كيف أهدأ ولا يزال قتيل من بني وائل ينسى قتيلا
غنيت دارنا تهامة في الدهر وفيها بنو معدن حلولا

---

(١) وهو الزير سالم وأطلق عليه زير النساء لكثرة مجالسته لهن

فتساقوا كأساً أمرت عليهم | بينهم يقتل العزيز الذليلا
فصبحنا بني لجيم بضرب | يترك الهام وقعه مفلولا
لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا | وأخو الحرب من اطاق النزولا
انتضوا معجس القسي وابرقـ | ـنا كما توعد الفحول الفحولا
قتلوا ربهم كليباً سفاها | ثم قالوا ما أن نخاف عويلا
كذبوا والحرام والحل حتى | يسلب الخدر بيضه المحجولا
ويموت الجنين في عاطف الرحـ | ـم وتردي رماحنا والخيولا

فلو لم تكن في شعر مهلهل تلك القوة لكان له الفخر حقا في اعتباره رأس الشعراء زمنا ولكن متانة شعره حرمت عليه أن يكون مخترع الشعر الجاهلي وأن يكون أول ناظميه

ولقد تتجلى لك ملكته الشعرية وتحس من نفسك بعاطفة الاكبار من تلك القوة في مهلهل حين تقرأ قصيدته الثانية التي رثى بها كليبا والتي يقول فيها

أهاج قذاة عيني الادكار | هدوءاً فالدموع لها انهمار
وصار الليل مشتملا علينا | كأن الليل ليس له نهار
وبت أراقب الجوزاء حتى | تقارب من أوائلها انحدار
أصرف مقلتي في إثر قوم | تباينت البلاد بهم فغاروا
دعوتك يا كليب فلم تجبني | وكيف يجيبني البلد القفار
أجبني يا كليب خلاك ذم | لقد فجعت بفارسها نزار
سقاك الغيث إنك كنت غيثاً | ويسراً حين يلتمس اليسار

أبت عيناى بعدك أن تكفا ... كأن قذى القتاد لها شعار
كأنى اذ نعى الناعى كليبا ... تطاير بين جنبي الشرار
سألت الحى أين دفنتموه ... فقالوا لي بأقصى الحى دار
فسرت اليه من بلدى حثيثا ... وطار النوم وامتنع القرار
أتعدوا يا كليب معى اذا ما ... جبان القوم أنجاه الفرار
خذ العهد الأكيد على عمري ... بتركى كل ماحدوت الديار
ولست بخالع درعي وسيفى ... الي أن يخلع الليل النهار

ويعكر علينا جو الاقتناع تلك الشكوك التي يثيرها جماعة ممن يتصدرون لانكار كثير من شعر مهلهل وهؤلاء الجماعة لايرون ما يستندون عليه فى طعنهم أكثر من أن شعر المهلهل المنسوب اليه له من جمال الاسلوب ورقة المعانى وسهولة الفهم مالا يتفق مع بداوة العصر الجاهلي وطفولته مما يدل على انتحال هذا الشعر ونسبته الى مهلهل زورا ونحن نرمى أصحاب ذلك الرأى بالجهل وعباه لانهم حكموا على شعر مهلهل لا على نفسيته والعوامل التي أحدثت فى شعره ذلك التطور الذي نحن من المؤمنين به وبصحته

ولقد مررنا فى بعض أيام مهلهل مرورا فيه كل الايجاز ولا نرى على أنفسنا من حرج لوعدنا نمر حاشيتا من شعر مهلهل الذى قاله فى أعراض مختلفة فن ذلك قوله من مراثي كليب وذكر مقتل الحرث بن عباد

أليلتنا بذي حسم أنيري ... اذا أنت انقضيت فلا تحوري(١)
فان يك بالذنائب طال ليلي ... فقد أبكي من الليل القصير(٢)

---

(١) ذو حسم [illegible] (٢) [illegible] البلد الذى قتل فيه كليب

كأن الله قد ... يدا ... اغ علي اقاصته قبر (١)
ولو بنبش المقابر عن كليب لاخبر بالذنائب أي زير (٢)
ويوم الشعثمين لقر عينا وكيف لقاء من تحت القبور
على أني تركت بواردات بجيراً في دم مثل العبير (٣)
هتكت به بيوت بني عباد وبعض القتل أشفى للصدور
وهمام ابن مرة قد تركنا عليه القشعمان من النسور (٤)
على أن ليس عدلا من كليب اذا طرد اليتيم من الجزور
علي أن ليس عدلا من كليب اذا ما ضيم جار المستجير
على أن ليس عدلا من كليب اذا هبت رياح الزمهرير
على أن ليس عدلا من كليب اذا برزت مخبأة الخدور

* * *

تسائلني أميمة عن أبيها وما تدري أميمة عن ضمير
فلا وأبي أميمة ما أبوها من النعم المؤثل والجزور (٥)

---

(١) ال... النقياص (٢) اشارة الى لقب ابي ... الذي لقبه به كليب أخاه مهلهل ... ميله الى محادثة النساء . فلو نبش قبر كليب لرأى كيف انتصر ... (٣) واردات . يوم من الايام التي انتصر فيها بنو ... بني ... ، وبجير هو ابن الحرث بن عباد (٤) همام هو أخو جساس ... القشعمان الكبير من النسور (٥) النعم الابل ، و... أي أن كليبا لم يكن كالابل التي ...

وإنكنا طعنا القوم طعنا ... على الأثباج منهم والنحور(٦)
نكب القوم للأذقان صرعى ... ونأخذ بالترائب والصدور(٧)
وكانوا قومنا فبغوا علينا ... فقد لاقاهم لقح البعير(٨)

ومن قوله

ان تحت الأحجار حزماً وعزماً ... وقتيلا من الأراقم كهلا(٩)
قتلته ذهل بسيف مراش ... أو نبيد الحيين قيساً وذهلا
ونطير الحريق منا شراراً ... فينال الأشرار نكراً وعجلا
قد فزعنا به ولا ثأر فيه ... أو تعم السيوف شيبان قتلا
ذهب الصلح أو تردوا كليبا ... أو تحلوا على الحكومة حلا
ذهب الصلح أو تردوا كليبا ... أو تنال العداة هوناً وذلا
ان تحت الحجارة والترب منه ... لدينا علا علاء وحلا
عز والله يا كليب علينا ... ان ترى هامتي دهاناً وكحلا

ومن قوله

ياخليلي ناديا لي كليبا ... واعلما أنه ملاقٍ كفاحا
ياخليلي ناديا لي كليبا ... ثم قولا له نعمت صباحا

---

(٦) الأثباج جمع ثبج وهو ما بين الكاهل والظهر (٧) الترائب جمع تريبة وهي ما بعد الترقوتين من عظام الصدر (٨) أي أن بني بكر كانوا أولاد عم بني تغلب فاعتدوا عليهم بقتل كليب (٩) الأراقم هم بنو بكر وبنو تغلب.

ترك الدار ضيفنا وتولى   عذر الله ضيفنا يوم راحا
ذهب الدهر بالسماحة منا   ياأذي الدهر كيف ترضى الجماحا
ويح أمي وويحها لقتيل   من بني تغلب وويحا وواحا
يا قتيلا نماه فرع كريم   فقده قد أشاب مني المساحا
كيف أسلو عن البكاء وقوم   قد تفانوا ؟ وكيف أرجو الفلاحا ؟

ومن قصائده الحارة في هذا المعنى .

جارت بنو بكر ولم يعدلوا   والمرء قد يعرف قصد الطريق
حلت ركاب البغي في وائل   في رهط جساس ثمال الوسوق(١)
يا أيها الجاني على قومه   جناية ليس لها بالمطيق
جناية لم يدر ما كنهها   جان ولم يصبح لها بالحليق
كقاذف يوما بأجرامه   في هوة ليس لها من طريق
من ركوب البحر ما لم يكن   ذا مصدر من تهلكات الغريق
ليس امرؤ يعد في بغيه   عذابة محريق ريح خريق
لكن تعدي بغيه قومه   طار الي رب اللواء الخفوق
الى رئيس الناس والمرتجى   لعقدة الشد ورتق الفتوق
إن نحن لم نثأر به فاشحذوا   شفاركم منا لحز الحلوق
أصبح ما بين بني وائل   منقطع الحبل بعيد الصديق
ليس أخوكم تاركا وتره   وليس عن تطلابكم بالمفيق

---

(١) الوسوق . الحمل (٢) الخريق . هو الشديد الهبوب

ومن قوله أيضا

نبئت أن النار بعدك أوقدت … واستب بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا فى أمر كل عظيمة … لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا
واذا تشاء رأيت وجها واضحا … وذراع باكية عليها برنس
تبكي عليك ولست لائم حرة … تأسى عليك بعبرة وتنفس

وقال يتهدد بني شيبان

لما نعى الناعي كليبا أظلمت … شمس النهار فما تريد طلوعا
قتلوا كليبا ثم قالوا « ارتعوا » … كذبوا لقد منعوا الجياد رتوعا
كلا وأنصاب لنا عادية … معبودة قد قطعت تقطيعا(١)
حتى أبيد قبيلة وقبيلة … وقبيلة وقبيلتين جميعا
وتذوق حتفا آل بكر كلها … ونهد منها سمكها المرفوعا
ونرى سباع الطير تقرأ أعينا … وتجر أعضاء لهم وضلوعا
والخيل تقتحم الغبار عوابسا … يوم الكريهة ما يردن رجوعا

قيل أن أول شعر قاله مهلهل عند ما بلغه مقتل كليب وقد رجع الى قومه فاستقبله النساء وهن يبكين ويولولن

كنا نغار على العواتق أن ترى … بالأمس خارجة عن الأوطان
فخرجن حين ثوى كليب حسرا … مستيقنات بعده بهوان

---

(١) الانصاب . حجارة كانت تقيمها العرب في الجاهلية فيهل عليها بغير الله وقت نحو الذبائح

حقر الكواعب كالظباء مواطلا ... اذ حان مصرعه ن الاكفان
يخمش من أدم الوجوه حواسرا ... من بعده ويعدن بالأزان
ويقار من للمستصرخ اذا دعا ... أم من لخضب عوالي المران
أم من لأسباق الديات وجمها ... ولهادحات نوائب الحدثان
علا نركن به قبائل تعاب ... قد لي بكل قرارة ومكان

ومن مراثيه أيضاً

كليب لاخير في الدنيا ومن فيها ... ان أنت خليتها ومن يخليها
كليب أى فتي عز ومكرمة ... تحت الصفا دالتي سلوك سافيها (١)
نعى الناعي كليبا فقلت لهم ... مالت بنا الارض أو زالت رواسيها
ليت السماء علي من تحتها وقعت ... وحالت الارض فانجابت من فيها (٢)
أصبحت منازل بالملاك قد درست ... تبكي كليبا ولم فرع أقاصيها
الحزم والعزم كانا من طبائعه ... ما كل آلائه يقوم أحصيها
القاهر الكوم ما ينفك يطعمها ... والواهب المائة الحمر ابرا ريها
القائد الخيل تردي في أعنتها ... رهوا اذا الخيل بحت في تعاديها
من خيل تغلب ما تلقى أسنتها ... الا وقد خضبتها من أعاديها
قد أصبحت وقد أوحشت جرد بلقعة ... للوحش منها مقيل في مراعيها
ينفرن عن أم هامات الرجال بها ... والحرب يفترس الاقران حاليها

---

(١) الصفاة . الحجر الصلد ومناة القبر (٢) حالت الارض. تغير حالها

ترمي الرماح بأيدينا فنوردها بيضا ونصدرها حمرا أعاليها
يارب يوم يكون الناس في رهج بها تراني على نفسي كاليها
مستقدما غصصا للحرب مقتحما نارا أهيجها حياو اطفيها
لا أصلح الله منا من يصالحكم حتي يصالح ذئب المعز راعيها

كان مهلهل قد حضر وقعة السلان مع أخيه كليب قبل قتله فهزما الاعداء فانشد مهلهل قصيدته التي يقول فيها .

لو كان ماء لابن حية زاجرا لنهاه ذا عن وقعة السلان
يوم لنا كانت رئاسة أهله دون القبائل من بني عدمان
غضبت معدن عنها وبنيها فيه عمالاة على غسان
فاز بهم عنا كليب بعلمة في غمر بابل من بني قحطان
ولقد مضي عنها ابن حية مدبرا تحت العجاجة والحتوف دوان
ترك التي سحبت عليها ذ ولها تحت العجاج بذلة وهوان
ونجا بمهجته وأسلم قومه متسربلين روافف المران
يمشون في حلق الحديد كأنهم جرب الجمال طلين بالقطران
تم الفوارس لافوارس مذحج يوم الهياج ولا بنو همدان
هزموا العداة بكل أسمر مارن ومهند مثل الغدير يماني

* * *

كيف مات مهلهل

اختلف الرواة في كيفية موت مهلهل ولكن أقرب الروايات التي

الحقيقة ما يقال من أنه بعد ما هدمت الحرب قوى التغلبيين والبكريين ، دخل على مهلهل يوما ربيعة بن الطفيل التغلبي فلما رأى ما به من تراكم الاوساخ الناشئة من عدم الاغتسال طوال مدة الحرب قال .

— « أقسمت عليك أيها الرجل ، لتغتسلن بالماء البارد ، ولتبلن شواتك بالعبير »

فقال مهلهل « هيهات ! هيهات يا ابن الطفيل ! هبلتني اذاً يميني ؟ وكيف باليمين التي آليت ؟ كلا أو أقصى من بكر أربى »

ثم زاد زاده محزونة مهموم وأنشد .

ان فى الصدر من كليب شجونا هاجسات نكأن منه الجراحا

(القصيدة ص)

وعلم بقوله بنو بكر فرد عليه قائدهم الفند من قصيدة

وتركنا ديار تغلب قفرا وكسرنا من الغواة الجناحا

وترى الزير يمنح القول ببنا بعد ما صار مفردا مستباحا

فلما علم بنو تغلب بقول الفند وكانوا فى صلح مؤقت مع بنى بكر ثارت نفوسهم من جديد ونقضوا الصلح فثار المهلهل على بنى بكر فقيل انه فى أثناء الحرب وقع أسيرا فى يد عمرو بن مالك بن ضبيعة وبقى فى أسره زمنا طويلا ثم سقاه يوما خمرا وكان قد ترك شربها منذ قتل كليب — فأنشد وهو تحت تأثير الشراب قصيدته التى يقول فيها ذاكرا ابنته الصغيرة

طفلة شفة الخلخل بيضا ء لعوب لذيذة فى العناق

فاذهبى ما اليك غير بعيد لا يؤاتى العناق من فى الوثاق

ضربت نحرها الي وقالت ‏ ‏ يا عديا لقد وقتك الاواقي
ما أرجي في العيش بعد نداما ‏ ‏ ى أراهم شقوا بكأس ملاق
بعد عمرو وعامر وحيي ‏ ‏ وربيع الصديف وابني عناق
وامرئ القيس ميت يوم أودى ‏ ‏ ثم خلى على ذات العراق
وكليب شم الفوارس اذ حم ‏ ‏ رماه الكماة بالاعماق
ان تحت الاحجار حدا وعزما ‏ ‏ وخصيما ألد ذا معلاق
حية في الوجار أربد لا تنفع ‏ ‏ منه السليم نفثة راق

ق. ان عمرو بن مالك قد آلى ما قاله المهلهل ماقسم الا يذوق بعده خمرا ولا ماء ولا لبنا حتى مات عطشا .

وقد سمعنا رواية كثيرة الدوران على السنة الناس عن موت مهلهل وكيف قتل ، وهي ان مهلهل الثاني فدى نفسه بمائة من الابل ثم مضى مع اهله يريد بلاد ايس وبينما كان الركب يقطع الطريق خطر بباله ان يرجع بمفرده الى ابن مالك ليقتله وكان معه عبدان اثنان استصحابهما معه في حروبه وعزواته ، ولكنه لم يدرك لابن مالك أثرا حتى اذا تعب من المسير حط رحاله عند شجرة يريد النوم تحت ظلها . وبينما هو في نومه اذ هجم عليه العبدان وقبضا على يديه يريدان قتله لكثرة ما العرب شرحروبه فتنبه لهما مهلهل وقال « يا الكما ؟ » قالا . « نذيقك ما أذقت العرب »

فقال مهلهل « ان لم يكن بد من ذلك » فاذا اتيتما ابنتي فخصاها عني بالسلام وقولا لها .

من مبلغ بنتي ان مهلهلا ‏ ‏ لا دركما ودر ابيكما

ولما هم احد البدين بطعنه قال له مهلهل « ثكلتك امك لو أخذت البيضة عن رأسي لكفاك أخذها دون ان تضع يدك في سيدك »

فاقتلعا البيضة بقوتها فخرجت ام رأسه وبقى دماعه ينفض فقال احدهما « لله درك من قتيل وفى لاخيه حتى اجابه بصرعه كريما ! » ثم دفناه وذلك فى سنة ٥٠٠ ميلادية وعاد العبدان الى قوم بكيان ويولولان فلما سمعتهما سليمة ابنة المهلهل سألتهما عن المصاب فقالا لها « مات ابوك وتركناه جثة على القوم » فسألتهما عما اوصى به وقت موته . فقالا لها « لقد سمعناه وهو يجود بنفسه . يقول .

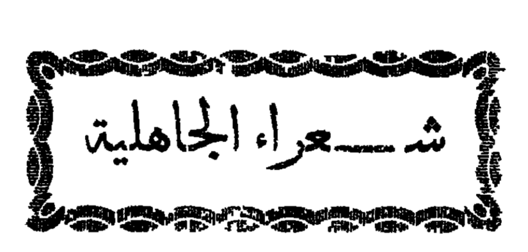
من مبلغ بني ان مهلهلا لله دركما ودر أبيكما

فاستعصى على سليمى ومن معها فهم ما يعني وأذاعته الصغيرة تصيح « واثكلاه قتيل ورب الكعبة ! أوثموا العبدين . . هذان قتلا أبى ايا معشر العرب ما انتم فصحاء » قالوا وما الدليل قالت « المصراع الثانى يحتاج الى اول والاول يحتاج الى ثان » قالوا اذا ينبغى ان يكون ؟ — فقالت ما أراد الا ان يقول

من مبلغ بني أن مهلهلا أضحى قتيلا في الفلاة مجندلا
لله دركما ودر أبيكما لن يبرح العبدان حتى يقتلا

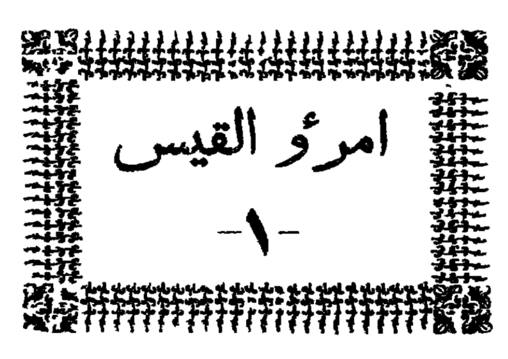
فعجلوا بالعبدين فقتلوهما

فشيوع تلك الرواية دون سواها ثم قربها الى العقل لا سيما اعتبارها من الامثلة المتداوله بين العرب للدليل على قوة الفراسة كل هذا يدعو الى احتمال التصديق بها


شعراء الجاهلية

الطبقة الاولى

امرؤ القيس — طرفة ابن العبد — الحرث بن حلزه — عمرو بن كلثوم — النابغة الذبياني — عنترة العبسي — أعشى قيس زهير بن أبي سلمى


امرؤ القيس
-١-

امرؤ القيس

(المتوفي سنة ٥٣٨ ميلادية)

وهو ابن حجر ملك كنده ممن لهم الاسبقية في الشعر الفحل ذي المعنى الرائع وهو بلاشك رأس شعراء الجاهلية وان نسب البعض تلك الاولية للاعشى أو النابغة

نشأ امرؤ القيس كما ينشأ أمثاله من ابناء الملوك العظام فخوراً بنفسه وقومه . وقد عرف الهوى في صغره وبدا كان له تأثير على ملكته الشعرية فنمت نمواً ظهر في غزله وتشبيبه بالنساء . ولكن لم تكن سيرته هذه مرضية عند والده . فاقصاه عنه بعد ما يئس من اصلاحه . وانزوى مع جماعة من ندمائه (بدون) يلهون ويطربون . فبينما هو في احدى مساراته بلغه مقتل أبيه بايدي بني أسد عليه فقام وسط رفاقه مظهراً ثبات الجأش وسكون الخاطر قائلاً (ضيعني صغيراً . وحملني دمه كبيراً . لا صحو اليوم ولا سكر غداً اليوم خمر وغداً امر) ثم قال

خليلي ما في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذ ذاك ما كان يشرب

أذود القوافي عني زياداً زياد غلام جريء جوادا

فلما كثرن وعنينه تخير منهن ستاً جيادا

فاعزل مرجانه جانبا وآخذ من درها المستجادا

والغرض في شعره أن تجتمع فيه صفتان متضادتان. فبينما ترى في قصيدة له جزالة العبارة وغريب الألفاظ وضخامة المعنى كما يقول في وصف فرسه من معلقته

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

أو كما يقول في وصف محبوبته

وإذ هي تمشي كمشي النزيف يصرعه بالكثيب البهر (٢)
برهرهة رودة رخصة كخرعوبة البانة المنفطر (٣)

تراه بعد ذلك شاعرا رقيق الألفاظ سهل العبارة سلس الأسلوب كما ترى في قوله

أجارتنا إنا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب

وقوله

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب (٤)

وقوله وهو من أبياته المشهورة

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

---

(٢) النزيف السكران يصرعه بالكثيب المرتفع من الأرض والبهر هو شدة التعب

(٣) البرهرهة هي رقيقة الجلد والرودة الشابة والرخصة الناعمة. والخرعوبة القضيب

(٤) الجزع هو خرز أسود به عروق بيض

وكان اكثر شعر امريء القيس وهو فى حداثته عزليا الى ان حدث مقتل أبيه فظهر شعره بعد ذلك ممزجا بالحزن وقد احاطت به المصائب وتوالت عليه ظروف دعت مناسباتها الي قوله معظم قصائده المشهورة وكان اكثرها فى رثاء ابيه وذم الدنيا وشكوى الزمان

شعره فى الغزل

الا عم صباحا ايها الطلل البالي　　وهل يعمن من كان فى العصر الخالي

وهل يعمن الا سعيد مخلد　　قليل الهموم ما يبيت بأوجال

وهل يعمن من كان أقرب عهده　　ثلاثين شهرا فى ثلاثه أحوال

ديار لسلمى عافيات بذى الخال　　ألح عليها كل أسحم هطال

سموت اليها بعد ما نام أهلها　　سمو حباب الماء حالا على حال

فأصبحت معشوقا واصبح بعلها　　عليه القتام كاسف الظن والبال

يغط غطيط البكر شد خناقه　　ليقتلني والمرء ليس بقتال

ومن قوله فى قصيدة اخرى

أمرى فقد بانت بحاجة ذى الهوى　　سعاد وراعتنا بفراق مردعا

وقد غير الروضات حول مخطط　　الي اللجمر أي من سعاد ومسمعا

متي ترد ارا من سعاد تقف بها　　وتستجر عيناك الدموع تدمعا

وكان امرؤ القيس لما ادبرت عنه الدنيا ونزل على بنى طيء تزوج منهم ام جندب ومن قوله فيها .

خليلي مرا بي على أم جندب　　نقضي حاجات الفؤاد المعذب

فإنكما إن تنظراني ساعة　　من الدهر تنفعني لدى أم جندب

دراسة شعراء الجاهلية(١)

في فترة قصيرة فكرت أن أدرس الشعراء الجاهليين دراسة محللة ، فاكتفيت بالوقوف عند المعلقات وقفات قصيرة وتبين ما يبدو لنا من شكوك عند دراسة كثرها ، لذلك أرجو ان تتاح لى الفرصة فى المستقبل بدرس أطول ، وفحص أدق ، جدير بمبحث جليل كهذا

« ١ »

امرؤ القيس وشكوك نسبه

صلة هذه الشكوك بشعره

روى ابن قتيبة (ان امرأ القيس هو بن حجر بن عمرو الكندى وأمه من أهل نجد من الطبقة الاولى ، وهذه الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد . وان لبيد بن ربيعه قال أن أشعر الناس ذو القروح

الى هنا ينتهي ما كتبه الاستاذ محمد يوسف دخيل كاتب مقدمة الكتاب، ونبدأ دراستنا الخاصة ، لذا فليغفر لنا القارىء تكرار الكتابة عن امرىء القيس لان الذى كتبه كاتب المقدمة عنه ليس كما تقتضيه أصول البحث الجديدة ، ونحن نريد أن نتحرر من قيود القديم ، لذلك لانجد بداً من الكتابة عنه من جديد ؟ محمود نجي م ا ه

يعني امرأ القيس ، وأن حجراً ملك على بني أسد فكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً ، فامتنعوا منه فسار اليهم فأخذ سراتهم فقتلهم بالعصي فسموا عبيد العصي ، ثم ... طائفة منهم عبيد بن الابرص فقام بين يدى الملك فقال

يا عين ... فابكي بني * أسد فهم أهل الندامة

اهل القباب الحمر والنعم المؤبل * والمدامة

... أنت المليك عليهم * وهم العبيد الي القيامة

أبيت اللعن مهلا * ان فيما قلت آمة

في كل واد بين يثرب والقصور * الى اليمامة

تطريب عان أو صياح محرق * وزقاء هامة

أنت المليك عليهم * وهم العبيد الي القيامة

فرحمهم الملك وعفا عنهم وردهم الي بلادهم حتي اذا كانوا علي مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم عوف بن ربيعة الاسدى فقال يا عبادي !! قالوا لبيك ربنا !! فقال « من الملك الاصهب . الغلاب غير المغلب . في الابل كأنها الربرب . لايعلق رأسه الصخب . هذا دمه يتشعب . وهو غداً أول من سلب » فقالوا من هو ربنا ؟ قال . « ولولا أن تجيش نفس جاشية أنبأتكم انه حجر ضاحية » _ فركبت بنو أسد كل صعب وذلول فما أشرق لهم الضحى حتى انتهوا الى حجر فوجدوه نائما فذبحوه ، وشدوا علي هجائنه فاستاقوها ، وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع فى الشعر بفاطمة ما صنع وكان لها عاشقا فطلبها زمانا فلم يصل اليها . وكان يطلب غرة حتي كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان فقال . قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل فلما بلغ ذلك حجرا أباه دعا مولي له يقال له ربيعة فقال له اقتل امرأ القيس

واثني عينيه . فذبح جؤذراً وأتاه بعينيه . فندم حجر على ذلك . فقال أبيت اللعن اني لم أقتله . قال فائتني به فانطلق ، فاذا هو قد قال شعراً في رأس جبل وهو قوله .

٠/ امركي ا...خ هـذه * ..كت أر ى ننام ـ واثنا

فرده الى أبيه ونهاه عن قول الشعر ثم أنه قال . * ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي ثم دلك أباه فطرده مباله .فتل أباه وهو يدمون فقال .

تطاول الليل علينا دمون * دمون انا معشر يمانون

* وانا لاهلنا محبون *

ثم قال . ضيعني صغيرا . وحملني دمه كبيرا لاصحو اليوم ولا سكر غدا . اليوم خمر وغدا أمر . ثم قال .

خليلي مافى اليوم مصحى لشارب * ولا في غد أذ كان ما كان مشرب

ثم آلى لا يأكل لحماً ولا يشرب خمرا حتي يثأر لابيه. فلما كان الليل لاح له برق فقال .

أرقت لبرق بليل أهـل * يضيء سناه باعلى الجبل

بقتـل بني أسـد ربهـم * ألا كل شيء سواه جلل

ثم استجاش بكر بن وائل فسار اليهم وقد لجأوا الي كنانة . فاوقع بهم ونجت بنو كاهل من بني أسد فقال .

يالهف نفسي اذ خطئن كاهلا * القاتلين الملك الحلاحلا

* تالله لايذهب شيخي باطلا *

وقد ذكر امرؤ القيس فى شعره أنه ظفر بهم فتابى عليه ذلك ء الشعراء

قال عبيد .

يا ذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالا وحينا * أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذبا ومينا

ولم يزل يسير في العرب يطلب النصر حتى خرج الى قيصر وشغفت اليه ابنة قيصر فعشقته فكان يأتيها وتأتيه . وفطن (فطن) الطماح بن قيس الاسدى لهما . وكان حجر قتل أباه . فوشى به الى الملك فخرج امرؤ القيس متسرعا فبعث قيصر فى طلبه رسولا فادركه دون انقرة بيوم ومعه حلة مسمومة فلبسها في يوم صائف فتناثر لحمه وتفطر جسده . وكان يحمله جابر بن حني التغلبي فذلك قوله

فاما تريني فى رحالة جابر * على حرج كالقر تخفق أكفاني
فيارب مكروب كررت وراءه * وعان فككت الغل عنه ففداني
اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شيء سواه بخزان

وقال حين حضرته الوفاة .

(رب خطبة مسحنفرة (١) وطعنة مثعنجرة (٢) وجفنة متحيرة (٣) تبقى غدا بانقرة .)

ويرى أستاذنا الدكتور طه حسين أن كل الحوادث المنسوبة لامريء القيس منحولة قصد تدعيم القصائد التي انتحلها الرواة له . ويقول في الادب الجاهلي ص ٢٠٩

---

(١) بدلة متقعرة
(٢) نافذة ماضية
(٣) ممتلئة يسيل ودكها

« . . من امرؤ القيس ؟ أما الرواة فلا يختلفون في أنه رجل من كندة ولكن من كندة ؟ لايختلف الرواة في أنها قبيلة من قحطان ، وهم يختلفون بعض الاختلاف في اسمها وتفسير اسمها وفي أحداث سادتها ، ولكنهم على كل حال يتفقون على أنها قبيلة يمانية ، وعلى أن امرأ القيس منها .

فأما اسم امرىء القيس واسم أبيه واسم أمه فأشياء ليس من اليسير الاتفاق عليها بين الرواة ، فقد كان اسمه امرأ القيس . وقد كان اسمه حندجا . وقد كان اسمه قيسا . وقد كان اسم أبيه عمرا ، وقد كان اسم أبيه حجرا أيضا . وكان اسم أمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل وكليب . وكان امرؤ القيس يعرف بأبي وهب ، وكان يعرف بأبي الحارث . ولم يكن له ولد يذكر . وكان يئد بناته جميعا . وكانت له بنت يقال لها هند . ولم تكن هند هذه ابنته ، وإنما كانت بنت أبيه . وكان يعرف بالملك الضليل ، وكان يعرف بذي القروح . وعليك أنت أن تستخلص من هذا الخليط المضطرب ما تستطيع أن تسميه حقا أو شيئا يشبه الحق . وأي شيء أيسر من أن تأخذ بما اتفقت عليه كثرة الرواة على أنه حق لاشك فيه ؟ وكثرة الرواة قد اتفقت على أن اسمه حندج بن حجر ، ولقبه امرؤ القيس ، وكنيته أبو وهب ، وأمه فاطمة بنت ربيعة . على هذا اتفقت كثرة الرواة وإذا اتفقت الكثرة على شيء فيجب أن يكون صحيحا أو على أقل تقدير يجب أن يكون راجحا . أما أنا فقد أطمئن إلى آراء الكثرة . أو قد أراني مكرها على الاطمئنان لآراء الكثرة ، في المجالس النيابية وما يشبهها . ولكن الكثرة لاتغني شيئا ، وقد كانت كثرة العلماء تنكر كروية الأرض

وحركتها ، وظهر بعد ذلك أن الكثرة كانت مخطئة.

وكانت كثرة العلماء ترى كل ما أثبت العلم الحديث أنه غير صحيح فالكثرة في العلم لا تغني شيئا » . ثم يذكر أنا لا نستطيع ألا الموازنة بين ما نزعم أغلبية الرواة وبين ما نزعم القلة ، وحتى هذا الموازنة لا نقلها للامور التي رآها في انتحال الشعر الجاهلي ، ويخرج من ذلك الي أن الخلط في حياة امرىء القيس ونسبه أوضح دليل على أن الناس لم يعرفوا عنه شيئا الا اسمه وما دار حول اسمه من أساطير .

* * *

ونحن لا نستطيع ألا أن نذهب مذهب الدكتور في استنكار (تخبط الرواة في نسبه ، وفي حوادثه ، فبينما ينسبه الاصمعي فيقول (هو أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ابن عمرو بن معاوية بن ثور ويقول (أن ثورا هو كندة) نجد ابن حبيب يزيد بين الحارث بن معاوية وثور بن مرتع بن معاوية بين كندة ، ونجد بعض الرواة يقول (هو أمرؤ القيس ابن السمط ابن امرىء القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور وهو كندة (بينما يقول ابن الاعرابي (ثور هو كندة بن عفير بن الحارث بن مرة بن عدي بن أدد بن زيد بن عمرو بن مسمع بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا) . كل هذه الاختلافات في رواية نسب أمرىء القيس التي عني بجمعها المرحوم الاستاذ أحمد بن أمين الشنقيطي ، تدل دلالة واضحة على أن امرأ القيس لم يكن متحققا من أخباره أخباره أدنى مشكوك فيها ، وبهذا يكون الشعر الذي بني على صحة هذه الاخبار ، موضوع ريبة

أنظر الى الرواية التي ذكرها ابن قتيبة عن نشأة امرىء القيس ؟ تجد أنها تعطيك فكرة عنه غير التي تعطيكها الرواية القائلة (أنه نما ترعرع علق النساء .. أكثر الدكر لهن فكره ذلك أبوه حجر (بضم الحاء والجم) فقال كيف أصنع به فقالوا اجعله في رعاء ابلك حتى يكون في انسب عمل فأرسله في الابل فخرج يرعاها ثم آواها مع الليل وجعل ينيخها ويقول ياحبذا طويلة لاقراب عزيزة الحلاب . كريمة الصحاب . ياحبذا شداد الاوراك . عراض الاحناك . طوال الاسماك . ثم بات ليلة يدور الى متحدثه حيث كان يتحدث فقال أبوه ماشغلته بشيء ، قيل له فأرسله في الخيل وأرسله في خيله ، فمكث بها يومه حتى آواها مع الليل فدنا أبوه حجر سمع فاذا هو يقول ياحبذا اناتها مساء ، ودكورها طماء عدة وساء ، نعم الصحاب راجلا وراكبا ؟ تدرك طالبا وتفوت هاربا . قال أبوه والله ما اصنعت شيئا ؟ فبات ليلته يدور حوالبها فيل له أجعله في الضأن فمكث يرعيها حتى اذا أمسى أراحها فجاء أمامه جاء خلفها لما راحت المراح ... أبوه يسمع قال أخراها لله لاتهتدي طريقا ولاتعرف صديقا أخرى الله لاتطيع راعيا ولاتسمع داعيا ثم سقط لينه لايتحرك فلما أصبح قال أبوه احرج بها تمضي حتى بعد من الحي وأشرف على الوادي فحثى في وجهها التراب فأرسلت وجعل يقول حجر في حجر ، حجر لامدر ذباب لحم .... الطير والاثار . فلما رأى أبوه ذلك منه وكان يرغب به عن النساء والشعر وأبى أن ينزع ذلك فأخرجه عنه فخرج مرغما لابيه فكان يسير في العرب يطلب الصيد والغزل حتى قتل أبوه)

وفي الرواية الاولى نجد أمرأ القيس الشاب عشق زوجة أبيه وطلبه زمانا فلم يصل أليها ، حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان ، فقال فيها معلقته وبلغ الشعر أباه فامر بذبحه ، لكن خادمه وستر أمره بهذه الحيلة ونهاه عن الشعر فأبى فطرده .... بينما نجد في الثانية أن أمرأ القيس نفسه لم تكن خلقه تعشق امرأة أبيه ، الامر الذي لم يكن من وحي أخلاق العرب (١) بل كان متيما في الحسان متغزلا بهن كثير الذكر لهن وأن أباه جعله في رعاء ابله ثم أرسله في خيله ثم حبسه ثم أقصاه لما لم يرعو ولم يشغله الاجداد عن ميوله ، طرده !! . وهنا إما أن تكون إحدى الروايتين صحيحة وإما تكونا معا غير صحيحتين ومن جهة الرواية الاولى كان أساس حكم في الشعر المنسوب لامرىء القيس غير الحكم الذي تمليه علينا الرواية الثانية وغير الحكم الذي ينشأ من نفيهما . ولذا وجب علينا دراسة معلقته لنرى ما يتصل بهذه الشكوك فيثبتها وما ينفيها لذلك نبدأ بمطلعها .

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل (٢)
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمأل
ترى بعر الآرآم في عرصاتها * وقيعانها كأنه حب فلفل
كأني غداة البين يوم تحملوا * لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل

---

(١) من العار الاكبر أن يكون ولي امرأة أبيه غير امه .

(٢) موضعان .

وأن شفائي عبرة مهراقة * فهل عند رسم دارس من معول (٣)
كدأبك من أم الحويرث (٤) قبلها * وجارتها أم الرباب (٥) بمأسل (٦)
اذا قامتا تضوع المسك منهما * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
ففاضت دموع العين مني صبابة * على النحر حتى بل دمعي محملي
ألا رب يوم لك منهن صالح * ولا سيما يوم بدارة جلجل

يحدثنا هذا بأن بكاء الحبيب والديار ساقط الذي ذاكر أن الذكرى تهيجه فتجري دموعه كناقف الحنظل الذي تدمع عيناه من حرارته حين ينقفه ليستخرج حبه، ثم خرج من هذا ذلك الى ذكر أم الحويرث وأم الرباب خاصا بالذكر يوما بدارة جلجل وما يوم دارة جلجل هذا؟ إنه يحدثك عنه في قوله.

ويوم عقرت للعذارى مطيتي * فيا عجباً من كورها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها * وشحم كهداب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة * فقالت لك الويلات انك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً * عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها سيري وأرخي زمامه * ولا تبعديني من جناك المعلل
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذي تمائم محول

---

(٣) معول موضع عويل وبكاء أو من عولت عليه اعتمدت
(٤) امرأة أيضاً
(٥) امرأة من كلب
(٦) اسم موضع

فاذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وتحتي شقها لم يحول
ويوماً على ظهر الكثيب تعذرت * علي وآلت حلفة لم تحلل
افاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت صرمي فاجملي
وان تك قد ساءتك مني خليقة * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
أغرك مني أن حبك قاتلي * وانك مهما تأمري القلب يفعل
وما ذرفت عيناك الا لتضربي * بسهميك في أعشار قلب مقتل
وبيضة خدر لايرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت أحراساً اليها ومعشراً * على حراصا لو يسرون (١) مقتلي
اذا ما الثريا في السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح (٢) المفصل
فجئت وقد نضت (١) لنوم ثيابها * لدى الستر الا لبسة المتفضل
فقالت يمين الله مالك حيلة * وما إن أرى عنك الغواية تنجلي
خرجت بها تمشي تجر وراءنا * على أثرينا ذيل مرط مرحل
فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى * بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل (٤)
هصرت بفودى رأسها فتمايلت * علي هضيم الكشح ريا المخلخل (٥)
مهفهفة بيضاء غير مفاضة * ترائبها مصقولة كالسجنجل (٦)
كبكر المقاناة البياض بصفرة * غذاها نمير الماء غير المحلل

---

(١) يقدرون علي قتلي سرا أو جهرا (٢) الوشاح سير من الجلد يرصع بالجوهر (٣) خلعت (٤) انتحى اعترض ، الخبت الارض المطمئنة ، الحقاف الرمال المشرفة ، العقنقل المنعقد منها (٥) هصرت جذبته والفودين جانبي الرأس (٦) المرآة

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي * بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش * إذا هي نصته ولا بمعطل
وفرع يزين المتن أسود فاحم * أثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائره مستشزرات الى العلا * تضل العقاص في مثنى ومرسل
وكشح لطيف كالجديل مخصر * وساق كأنبوب السقي المذلل
وتضحي فتيت المسك فوق فراشها * نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع ظبي أو مساويك اسحل
تضيء الظلام بالعشاء كأنها * منارة ممسى راهب متبتل
الى مثلها يرنو الحليم صبابة * اذا ما اسبكرت بين درع ومجول
تسلت عمايات الرجال عن الصبا * وليس فؤادي عن هواك بمنسل
ألا رب خصم فيك ألوى رددته * نصيح على تعذاله غير مؤتل

ومن حديث يوم دارة جلجل ، يوم لقى فيه امرؤ القيس معشوقته عنيزة اذ تقدم الركب وساروا واحدا وتخلف امرؤ القيس [illegible] حتى مرت به النسوة ونزلن في الغدير تاركات ثيابهن ، فهجم عليهن وأخذها ، واقسم لا يعطي واحدة ثوبها حتى تخرج متجردة ، فخرجن بعد اليأس الواحدة تلو الاخرى ، و [illegible] عنيزة [illegible] ، [illegible] لهن ناقته وهو في حديثه عن يوم دارة يقول

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وتحتي شقها لم يحول

ويريد به نظرها اليه لتؤاسيه ، بينما تصور ان ولدها يطرقها اذ كان الصبي عند بعض الاعراب لا يزال يلحق خلف أمه . ثم يطايبها بعدله

ثيابه من ثيابها أي تخلص ثم من قلبها ، ثم يذكر دلالها وحرج لحاظها وانه تجوز في تمتعه بها احداً ساً يستطيعون منه ثم ذكر ما كان بينه وبينها وخروج من ذلك الى ذكر محاسنها وتأثيره بعده بداً ، يخرج الى وصف الليل فالك س ، ويقول

وليل كموج البحر أرخى سدوله * علي بانواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي * بصبح وما الاصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل
كأن الثريا علقت في مصامها * بأمراس كتان الى صم جندل
وقربة أقوام جعلت عصامها * على كاهل مني ذلول مرحل
وواد كجوف العير قفر قطعته * به الذئب يعوي كالخليع المعيل
فقلت له لما عوى أن شأننا * قليل الغنى إن كنت لما تمول
كلانا اذا ما نال شيئاً أفاته * ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل
وقد أغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معاً * كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه * كما زلت الصفواء بالمتنزل
على الذبل جياش كأن اهتزامه * اذا جاش فيه حميه غلي مرجل
مسح اذا ما السابحات على الونى * أثرن غباراً بالكديد المركل
يزل الغلام الخف عن صهواته * ويلوي بأثواب العنيف المثقل
درير كخذروف الوليد أمره * تتابع كفيه بخيط موصل

له أيطلا ظبي وساقا نعامة * وارخاء سرحان وتقريب تتفل

صليع اذا استدبرته سد فرجه * بضاف فويق الارض ليس بأعزل

كأن على المتنين منه اذا انتحى * مداك عروس او صلاية حنظل

كأن دماء الهاديات بنحره * عصارة حناء بشيب مرجل

فعن لنا سرب كأن نعاجه * عذارى دوار في ملاء مذيل

فادبرن كالجزع المفصل بينه * بجيد معم في العشيرة مخول

فالحقنا بالهاديات ودونه * جواحرها في صرة لم تزيل

فعادى عداء بين ثور ونعجة * ودراكا ولم ينضح بماء فيغسل

وظل طهاة اللحم من بين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه * متى ماترق العين فيه تسهل

فبات عليه سرجه ولجامه * وبات بعيني قائما غير مرسل

أصاح ترى برقا أريك وميضه * كلمع اليدين فى حبي مكلل

يضيء سناه أو مصابيح راهب * أمال السليط بالذبال المفتل

قعدت له وصحبتي بين ضارج * وبين العذيب بعدما متأملي

على قطن بالشيم أيمن صوبه * وأيسره على الستار فيذبل

فاضحى يسح الماء حول كتيفة * يكب على الاذقان دوح الكنهبل

ومر على القنان من نفيانه * فانزل منه العصم من كل منزل

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة * ولا اطما الا مشيدا بجندل

كأن ثبيراً فى عرانين وبله * كبير أناس في بجاد مزمل

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة * من السيل والغثاء فلكة مغزل

والقي بصحراء الغبيط بعاعه * نزول اليماني ذي العياب المحمل(١)
كأن مكاكي الجواء غدية * صبحن سلافا من رحيق مفلفل
كأن السباع فيه غرقى عشية * بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

فنجد المعلقة مزيجا من السهولة والصعوبة اللفظية كما انا نجدها خليطا بين أبيات ينبغي بها لرقتها مثل قوله .

فقالت لك من ذكري حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقول وقد مال الغبيط (٢) بنا معا * عقرت بعيري امرأ القيس فانزل

وقوله .

وماذرفت عيناك الا لتضربي * بسهميك فى أعشار قلب مقتل

والعهر مثل قوله فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع وقوله سموت اليها بعد ما نام اهلها وابيات لاتتناسب مع شاعر ملكى مثل قوله وقربة اقوام جعلت عصامها الي قوله كلاما اذا ما نال شيئا افاته تخمط فيها الرواه اذروى الاصمعى وابن قتيبة وابو حنيفة الدينورى هذه الابيات لتابط شرا وزعم السكرى انها لامرىء القيس ونقل عنه الخطيب التبريزى ومحمد ابن الخطاب فى جمهرة ثم نجد خروجا من قصته الي وصف الليل والفرس بلا اتصال بينها بحيث انا اذا فصلنا كل جزء عن سابقه اضحي قائما بذاته . والذى نريد ان نصل اليه ان تضارب الرواة فى رواية تلك المعلقة واختلافهم

---

(٢) كثير المال
(٢) الرحيل

فى سبب كثير من ابياتها لغير امريء القيس يدل على انهم اما ان يكونوا قد انتحلوا القصة طبقا لرواياتهم فيكون لامريء القيس وصف الليل والفرس وانهم انتحلوا له وصف الفرس ومزجوها بابيات ظاهر انها طبيعية . ويكون له القصة . واما ان يكونوا يرونها بذلك مالا يحتاج اليه بحث "



طرفه ابن العبد

يجيء النبوغ على كثيرين ، اذ يكون في بعض الاوقات سبب حتفهم .
ومن هؤلاء طرفة ، مات شابا صغيرا لا يتجاوز العشرين ، لمحاباة عمرو بن هند الذي أسر الضغينة فى نفسه وأظهر لطرفة الود والبشاشة ، مرسلا لعامله بالبحرين ليقتله . فصدق طرفة أن عمروا رضى ، وان الود بينهما حقيقى ، وانه أنما يوصي به فى الخطاب خيرا ، فذهب وحمل بنفسه رسالة موته . . والذى يعنينا من طرفة ليس تاريخ حياته ، لانه تاريخ قصير قصاه شاب قليل الا كترات بالحياة ، غير عابىء الا بجنى اللذات ، وانما الذى يعنينا أن نرى فيها مثلا لاضطراب نفس شاعرة بين الحسيات والمعنويات ، شاعر تنازع نفسه بين المادة والمعنى ، فتنتصر لديه المادة لعدتها عنده ، ويتحول المعنى لضعفه فى نفسه . ثم نراه بعد ذلك نحو المعنى الذى خذله ولا نواتيه يحرره ظنا منه انه انتصر عليه ثانية ، وهو فى الحقيقة ينازع نفسه ، فتغلبه ، فاذا ما غلبته سار فى طريقها سيرا حثيثا ممعنا في اللذة غير عابىء بما بعدها . . . لكن الشاعرية تعض ، اذ تتزاحم المعانى فى فكره ، فيخرجها ، أجمل ما تكون ، ويفرح عن نفسه باخراجها وفى اخراجها معنى من معانى اللذة يحسه هو تعوا ر نائى لا م . . . وهكذا

يعص فى اخ.لج معانيه لتي لا نسيه كلذته ، فتخرج واضحة جلية ، صافية نقية . وهو فى هذا وذاك شريف النفس بواق الى العلي ! !

انطر إلي معلقته التي يقول فيها.

لخولة أطلال ببرقة ثهمد * تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجلد
كأن حدوج المالكية غدوة * خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين ابن يامن * يجور بها الملاح طوراً ويهتدى
يشق حباب الماء حيزومها بها * كما قسم الترب المفايل باليد
وفى الحي أحوى ينفض المردشادن * مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد
خذول تراعي ربربا بخميلة * تناول أطراف البرير وترتدى
وتبسم عن ألمى كأن منورا * تخلل حر الرمل دعص له ند
سقته أياة الشمس الالثاته * أسف ولم تكدم عليه بإثمد
ووجه كأن الشمس ألقت رداءها(١) * عليه نقي اللون لم يتخدد
وأني لامضي الهم عند احتضاره * بعوجاء مرقال تروح وتغتدى
أمون كألواح الاران نصأتها (٢) * على لاحب كأنه ظهر برجد
جمالية وجناء تردى كأنها * سفنجه تبري لأزعر أربد
تباري عتاقا ناجيات وأتبعت * وظيفا وظيفا فوق مور معبد
تربعت القفين في الشول ترتعى * حدائق مولي الأسرة أغيد

(١) ويروى حلت رداءها فجعل للشمس رداء استعارة للنور

(٢) نصأتها وسأتها زجرتها وضربتها بالمنسأة

تريع الى صو . المهب(١) وتتقى * ذى خصل روعات أكلف ملبد
كأن جناحى مضرحى تكنفا * حفافيه شكا فى العسيب بمسرد
فطورا به خلف الزميل وتارة * على حشف كالشن ذاو مجدد
لها فخذان أكمل النحض فيهما * كأنهما بابا منيف ممرد
وطى محال كالحنى خلوفه * وأجرنة لزت بدأي منضد
كأن كناسى ضالة يكنفانها * وأطر قسى تحت صلب مؤيد
لها مرفقان أفتلان كأنما * تمر بسلمى دالج متشدد
كقنطرة الرومى أقسم ربها * لتكتنفن حتى تشاد بقرمد
صهابية العثنون موجدة القرا * بعيدة وخد الرجل موارة اليد
أمرت يداها فتل شزر وأجنحت * لها عضداها فى سقيف مسند
جنوح دفاق عندل ثم أفرعت * لها كتفاها فى معالي مصعد
كأن علوب النسع فى دأياتها * موارد من خلقاء فى ظهر قردد
تلاقى وأحيانا تبين كأنها * بنائق غر فى قميص مقدد
وأتلع نهاض اذا أصعدت به * كسكان بوصى(٢) بدجلة مصعد
وجمجمة مثل العلاة كأنما * وعى الملتقى منها الى حرف مبرد
وخد كقرطاس الشآمي ومشفر * كسبت اليماني قده لم يجرد(٣)

(١) تريع ترجع ، والمهيب الذى يصيح بها هوب هوب ، ويعني انها مدربة .

(٢) فى رواية نوتي وهو الملاح

(٣) أى أن الشعر على القد.

وعينان كالماويتين استكنتا * بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد
طحور ن و ر القذي ... تراهما * كمكحولتي مذعورة أم فرقد
وصادقتا سمع التوجس للسرى * لهجس خفي أو لصوت مندد
مؤللتان تعرف العتق فيهما * كسامعتي شاة بحومل مفرد
وأروع نباض أحذ ململم * كمرداة صخر في صفيح مصمد
وأعلم مخروت من الانف مارن * عتيق متى ترجم به الارض تزدد
وان شئت لم ترقل وان شئت أرقلت * مخافة ملوي من القد محصد
وان شئت سامى واسط الكور رأسها * وعامت بضبعيها نجاء الخفيدد
على مثلها أمضي اذا قال صاحبي * ألا ليتني أفديك منها وأفتدي
وجاشت اليه النفس خوفا وخاله * مصابا ولو أمسى على غير مرصد
أذا القوم قالوا من فتى خلت انني * عنيت فلم أكسل ولم أتبلد
أحلت عليها بالقطيع فاجذمت * وقد خب آل الامعز المتوقد
فذالت كما ذالت وليدة مجلس * تري ربها أذيال سحل ممدد
ولست بحلال التلاع مخافة * ولكن متى يسترفد القوم أرفد
فان تبغني في حلقة القوم تلقني * وان تلتمسني في الحوانيت تصطد
متى تاتني أصبحك كاسا روية * وان كنت عنها ذا غنى فاغن وازدد
وان يلتقي الحي الجميع تلاقني * الي ذروة البيت الشريف المصمد
نداماي بيض كالنجوم وقينة * تروح الينا بين برد ومجسد
رحيب قطاب الجيب منها رفيقة * بجس الندامى بضة المتجرد
اذا نحن قلنا اسمعينا انبرت لنا * على رسلها مطروفة(١) لم تشدد

---

(١) ساكنة الطرف

اذا رجعت في صوتها خلت صوتها * تجاوب أظآر على ربع ردي
ومازال تشرابي الخمور ولذتي * وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي
الى أن تحامتني العشيرة كلها * وأفردت إفراد البعير المعبد
رأيت بني غبراء لا ينكرونني * ولا أهل هذاك الطراف الممدد
ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي
فان كنت لا تسطيع دفع منيتي * فدعني أبادرها بما ملكت يدي
ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبقي العاذلات بشربة * كميت متى ماتعل بالماء تزبد
وكري اذا نادى المضاف محنبا * كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة (١) تحت الخباء المعمد
كأن البرين والدماليج علقت * على عشر أو خروع لم يخضد
كريم يروي نفسه في حياته * ستعلم أن متنا غدا أينا الصدي
أرى قبر نحام (٢) بخيل بماله * كقبر غوي في البطالة مفسد
ترى جثوتين من تراب عليهما * صفائح صم من صفيح منضد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي * عقيلة (٣) مال الفاحش المتشدد
أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة * وما تنقص الايام والدهر ينفد
لعمرك أن الموت ما أخطا الفتى * لكالطول (٤) المرخى وثنياه (٥) باليد

(١) في رواية بهكنة وهي عظيمة الالواح والعجيزة والفخذين
(٢) بخيل (٣) عقيلة الشيء كريمته وخياره
(٤) حبل تشد به قائمة الدابة ويمسك طرفه وترسل لترعى
(٥) طرفاه

متى مايشأ يوما يقده لحتفه * ومن يك في حبل المنية ينقد
فمالي أراني وابن عمي مالكا * متى ماأدن منه ينأ عني ويبعد
يلوم وما أدرى علام يلومني * كما لامني في الحي قرط بن أعبد
وأيأسني من كل خير طلبته * كأنا وضعناه إلى رمس ملحد
على غير شيء قلته غير أنني * نشدت فلم أغفل حمولة معبد
وقربت بالقربى وجدك إنه * متى يك أمر للنكيثة أشهد
وإن أدع للجلى أكن من حماتها * وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد
وإن يقذفوا بالقذع عرضك أسقهم * بشرب حياض الموت قبل التهدد
بلا حدث أحدثته وكمحدث * هجائي وقذفي بالشكاة ومطردي
فلو كان مولاي امرأ هو غيره * لفرج كربي أو لأنظرني غدي
ولكن مولاي امرؤ هو خانقي * على الشكر والتسآل أو أنا مفتد
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند
فذرني وخلقي إنني لك شاكر * ولو حل بيتي نائيا عند ضرغد
فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد * ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد
فأصبحت ذا مال كثير وزارني * بنون كرام سادة لمسود
أنا الرجل الضرب (١) الذي تعرفونه * خشاش كرأس الحية المتوقد
فآليت لا ينفك كشحي بطانة * لعضب رقيق الشفرتين مهند
حسام إذا ماقمت منتصرا به * كفى العود منه البدء ليس بمعضد
أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة * إذا قيل مهلا قال حاجزه قدي

---

(١) في رواية الجد وهو الخنع الشديد

اذا ابتدر القوم السلاح وجدتني * منيعا اذا بلت بقائمه يدي
. .ك هجود فقد أثارت مخافتي * بوادبها أمشي بعضب مجرد
فمرت كهاة ذات خيف جلالة * عقيلة شيخ كالوبيل يلندد
يقول وقد تر الوظيف وساقها * ألست ترى أن قد أتيت بمؤيد
قال ألا ماذا ترون بشارب * شديد علينا بغيه متعمد
وقال ذروه انما نفعها له * والا تكفوا قاصي البرك يزدد
فظل الاماء يمتللن حوارها * ويسعي علينا بالسديف المسرهد
ان مت فانعيني بما أنا أهله * وشقي علي الجيب يا ابنة معبد
لا تجعليني كامرئ ليس همه * كهمي ولا يغني غنائي مشهدي
بطيء عن الجلى سريع الى الخنا * ذلول بأجماع الرجال ملهد
فلو كنت وغلا في الرجال لضرني * عداوة ذي الاصحاب والمتوحد
لكن نفى عني الرجال جراءتي * عليهم أقدامي وصدقي ومحتدي
لعمرك ما أمري علي بغمة * نهاري ولا ليلي علي بسرمد
ويوم حبست النفس عند عراكه * حفاظا على عوراته والتهدد (١)
على موطن يخشي الفتى عنده الردى * متى تعترك فيه الفرائص ترعد
وأصفر مضبوح نظرت حواره * على النار واستودعته كف مجمد
ارى الموت أعداد النفوس ولا أرى * بعيدا غدا ما أقرب اليوم من غد
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

---

(١) عند عراكه نفسه ، اذ يقاومها من الانهزام خوف العار

نجد أن معلقة طرفه مع اختلاف الرواة فى اثبات بعض أبياتها مثل بيت (وأصفر مضبوح نظرت حواره الخ) رواه الخطيب ولم يروه الاعلم ورواه السكيت ولم يروه الاصمعى ولا ابن حبيب ولا ابن الاعرابي ، ناسبينه لعدى بن زيد . ومثل قوله (أرى الموت أعداد النفوس) لم يروه الخطيب ورواه السكيت والاعلم وزاد بن الخطيب بيتين .

لعمرك ما الايام الا معارة * فما استطعت من معروفها فتزود

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه * فأن القرين بالمقارن مقتدى

و بيت (حمالية وجناء) لم يروه الاعلم ولا الخطيب ولا ابن السكيت ورواه بعض الرواة أبو ل بالرغم من هذا الاختلاف وغيره نجدنا مطمئنين كل الاطمئنان عند قراءة المعلقة ، فهى ظاهرة الجاهلية في الفاظها ، ظاهرة صدورها حقيقيا من قلب شاعر صور التاريخ الادبي لنا صورته الشعرية واضحة جلية اذ يتنها نراه يتكلم عن السفينة المحبوبة فمناجاة حسناء فوصف الناقة اذا به يحدثنا عن نفسه ومكانته بين قومه ، ويخرج من هذا الى الحسن فالغناء ، فالاباحه ، فالخمر ، فطلب اللذة الحسية ابدا وحدث فالشك فيها بعد الموت .

كريم يروى نفسه فى حياته * ستعلم ان متنا غدا أينا الصدى

ويخرج من هذا وذاك الى ذكر مضاضة ذوي القربى ، ثم الفخر بشجاعته ويختم معلقته بالحكمة الجميلة .

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

يرى استاذنا الدكتور طه حسين أن وصف الناقة الذى يبدأ من قوله .

وانى لامضى الهم عنداحتضاره * بعوجاء مرقال تروح وتغتدى

يضطرنا الى ان نقول ان اكثر اوصاف الناقة هنا اقرب الى ان يكون من صنعة العلماء باللغة منه الى اى شيء آخر ويرى في قوله (ولست بحلال التلاع مخافة) الى قوله (اذا رجعت فى صوتها خلت صوتها) لينا فى غير ضعف وشدة في غير عنف وكلاما لاهو بالغريب الذى لايفهم ولا هو بالسوقي المتبذل ولا هو بالالفاظ وصفت وصفا دون أن تدل على شيء يرى في قوله (ومازال تشرابي الخمور ولذتي)شخصية قوية ومذهبا فى الحياة واضحا جليا مذهب اللهو واللذة يعمد اليهما من لايؤمن بشيء بعد الموت ولايطمع من الحياة الا فيما تتيح له من نعيم بريء من الاثم والعار على ما كان يفهمها عليه هؤلاء الناس ويرجح بعد ذلك ان فى معلقة طرفة شعرا صنعه علماء اللغة هو هذا الوصف وشعرا صدر عن شاعر حقا هو هذه الابيات الاخيرة وما يشبهها ثم يقول بعد ذلك (لسنا نأمن ان يكون في هذه الابيات نفسها مادس على الشاعر دسا وانتحل عليه انتحالا)!!

وقد الحنا فيما ذكرناه الى ذلك الدس والانتحال الظاهر من عدم الصلة بين الكثير من أبيات المعلقه وبين مانستطيع أن نستخلصه منها معتمدين على ماعرف عن طرفة . فأذا كان هذاالتخبط من الرواة فى القصيدة الواحدة لطرفة التي هى اولى قصائده ، فهل نثق بما يوردونه عنه من مقطوعات وهى دون مانوصلنا له بصحيح أبياتٍ فى المعلقة تصور لنا طرفة شاعراً ، بالمعنى الذي ذكرناه فى أول المعلقة !!

«٣»

زهير بن أبى سلمى

لم يحرص أحد من الشعراء على تنقيح شعره حرص زهير ، اذ كان ينظم القصيدة فى شهر وينقحها فى سنة ثم يعرضها على خواصه ثم يذيعها بعد ذلك ، وكانت قصائده حوليات ، وهي أربع .

(١) قف بالديار التي لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

(٢) أن الخليط أجد البين فانفرقا * وعلق القلب من أسماء ماعلقا

(٣) ان الخليط ولم ياووالمن تركوا * وزودوك اشتياقا أية سلكوا

(٤) لمن طلل برعة لايريم * عفا وخلاله حقب قديم

وله خلاف ذلك مقطوعات كلها جيد جميل ، ومن ذلك تشبيهه امرأة بثلاثة اوصاف فى بيت واحد حيث يقول .

تنازعها المها شبها ودر ال * بحور (١) وشابهت فيها الظباء

فأما مافوق العقد منها * فمن أدماء مرتعها الخلاء

وأما المقلتان فمن مهاة * وللدر الملاحة والصفاء

لذا أجمع كل قراء شعره على مدحه ، حتى وصفه عمر بن الخطاب بأنه

---

(١) فى بعض الروايات ، لا سيما رواية ابن قتيبة بحور وشاكهت ، ولكنا نفضل هذه الرواية (٢) موصان (٣) هى البئر العتيقة .

أشعر الشعراء معللا ذلك بأنه لايعاظل في الكلام ، متجنبا وحشي الشعر ولا يمدح أحداً الا بما فيه والوصول إلي فهم شيء من شاعرية زهير ، ومن تعريفها عن كثير مما نسب أليه ، نضع أمامك معلقته التي يقول فيها .

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتثلم (٢)
ودار لها بالرقمتين كأنها * مراجيع وشم في نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفة * وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة * فلأيا عرفت الدار بعد توهم
أثافي سفعا في معرس مرجل * ونؤيا كجذم الحوض (٣) لم يتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها * الا انعم صباحا أيها الربع واسلم
تبصر خليلي هل ترى من ظعائن * تحملن بالعلياء من فوق جرثم
جعلن القنان عن يمين وحزنه * وكم بالقنان من محل ومحرم
علون بأنماط عتاق وكلة * وراد حواشيها مشاكهة الدم
ظهرن من السوبان ثم جزعنه * على كل قيني قشيب ومفأم
ووركن في السوبان يعلون متنه * عليهن دل الناعم المتنعم
بكرن بكورا واستحرن بسحرة * فهن لوادي الرس كاليد للفم
وفيهن ملهى للصديق ومنظر * أنيق لعين الناظر المتوسم
كأن فتات العهن في كل منزل * نزلن به حب الفنا (١) لم يحطم

---

(١) الفنا كما يقول المبرد) شجر يثمر ثمرا أحمر ثم يتفرق فى هيئة الثمر الصغير فهو يشبه مايسقط من أنماطهن اذا انزلن بالعهن الصوف

فلما وردن الماء زرقا جمامه * وضعن عصى الحاضر المتخيم

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما * تبزل ما بين العشيرة بالدم

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله * رجال بنوه من قريش وجرهم

يمينا لنعم السيدان وجدتما * على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبسا (١) وذبيان بعدما * تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم(٢)

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا * بمال ومعروف من القول نسلم

فأصبحتما منها على خير موطن * بعيدين فيها من عقوق ومأثم

عظيمين في عليا معد هديتما * ومن يستبح كنزا من المجد يعظم

تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت * ينجمها من ليس فيها بمجرم

ينجمها قوم لقوم غرامة * ولم يهريقوا بينهم ملء محجم

فأصبح يجري فيهم من تلادكم * مغانم شتى من إفال مزنم (٣)

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة * وذبيان هل أقسمتم كل مقسم

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم * ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر * ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم * وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة * وتضر إذا ضريتموها فتضرم

---

(١) قبيلتان (٢) منشم امرأة عطارة كانت تبيعهم من عطرها لمو تاهم عندقيا مهم لحرب ، فاتخذوها علامة شوم لهم وكنانة عن حرب شديدة

(٣) فحل .

فتعرك كم عرك الرحي بثفالها * وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم
فتنتج لكم غلمان أشام (١) كلهم * كأحمر عاد (٢) ثم ترضع فتفطم
فتغلل لكم مالا تغل لاهلها * قرى بالعراق من قفيز ودرهم
لان ثمود عاد الآخرة . وقد يكون السبب التقاء .
لعمري لنعم الحى جر عليهم * بما لايواتيهم حصين بن ضمضم
وكان طوى كشحا على مستكنة * فلا هو أبداها ولم يتقدم
وقال سأقضى حاجتى ثم اتقى * عدوى بالف من ورائى ملجم(٣)
فشد ولم يفزع بيوتا كثيرة * لدى حيث القت رحلها أم قشعم
لدى أسد شاكى السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم
جرىء متى يظلم يعاقب بظلمه * سريعا والا يبد بالظلم يظلم
رعوا ظماهم حتى اذا تم اوردوا * غمارا تفرى بالسلاح وبالدم
فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا * الى كلأ مستوبل متوخم
لعمرك ماجرت عليهم رماحهم * دم ابن نهيك أوقتيل المثلم
ولاشاركت فى الموت فى دم نوفل * ولاوهب منهم ولا ابن المخزم
فكلا أراهم أصبحوا يعقلونه * صحيحات مال طالعات بمخرم
لحي حلال يعصم الناس أمرهم * اذا طرقت احدى الليالى بمعظم

---

(١) غلمان شوم .
(٢) هو قدار بن سالف عاقر الناقة الملقب باحمر من ثمود
(٣) يريد الفرس الملجم أو فرسان الافراس الملجمة

كراماً فلاذو الضغن يدرك تبله * ولا الجارم الجاني عليهم بمسلم
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبالك يسأم
واعلم ما في اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب * تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم
ومن لم يصانع في امور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه * الى مطمئن البر لا يتجمجم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * وان يرق اسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف في غير أهله * يكن حمده ذما عليه ويندم
ومن يعص أطراف الزجاج فانه * يطيع العوالي ركبت كل لهذم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة * وإن خالها تخفي على الناس تعلم
وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم
وان سفاه الشيخ لا حلم بعده * وان الفتى بعد السفاهة يحلم
سألنا فاعطيتم وعدنا فعدتم * ومن اكثر التسآل يوما سيحرم

نجد أنه بالرغم من اختلاف الرواة في أكثر أبياتها وتلفيق أبيات منها مثل بيت (فكلا أراهم أصبحوا يعقلونه .) الذى يرويه الخطيب على

صوريه الاولى بدما يرويه الاعلم على أن الشطرة الاولي منه صدر بيت والثانيه بحر آخر ، هكذا .

و كلا أراهم أصبحوا يعقلونهم * علالة ألف بعد ألف مصتم
تساق الى قوم لقوم غرامة * صحيحات مال طالعات بمحرم

واستحال ظاهر في بعض أبياتها مثل (وكائن ترى من صامت لك معجب الي . سألنا فاعطيتم وعدنا فعدتم) حتى أن الاعلم والخطيب لم يرواها نجد انفسنا مندفعين ألى الحكم بان معظم أبيات هذه المعلقه لزهير، لعوها واستحالة ظهورها الا عن المنسوبة أليه لدقه تصويرها ، روعة وصفها وفناء قائلها فيها وتصورها له احسن تصوير ، وحسن اتصال انتقاله من موضوع لآخر ، اتصال الطبيعة ، لا اتصال التكلف والترفيع كما رأينا فى معلقة امرىء القيس فى الانتقال من ذكر المحبوبه الى وصف الفرس والليل انتقالا مفككا . حتي اذا ماأتينا الى الحكمة ، نجد دروسا قيمة يلقيها علينا أحد فلاسفة الحياة الذين يظهرون في كل جيل وفى كل أمة ، يرون ثاقب أفكارهم آراء تخالف آراء معاصريهم ، وبذا لا نرتاب قط فى ايمان زهير على جاهليته بالبعث

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر * ليوم الحساب أو يعجل فينقم

لاننا نعتقد أن انكار الايمان بالبعث وبالله وبخلود الروح ، توجد فى كل عصر وفى كل أمة وان اختلفت انواعها وتباينت وسائل فهمها . على انه ليس بدعا ان ينفرد زهير ومثل زهير بنور البصيره فى عصر ظلمة

الجاهلية ! وليس غريبا ولاموضع شك أن يكون هذا قول زهير الحكيم وبذا نرى معظم أشعار زهير صحيح نسبها له، لأن الرواة وإن كانوا قد أبوا الا أن ينالوا زهيرا بمثل ما نال غيره منهم، لكنهم لم يستطيعوا أن يعبثوا بالانتحال له كثيراً كما عبثوا بغيره، لأن شعر زهير قوي متماسك تظهر عليه واضحة سوءة الدخيل !!



(٤)

لبيد بن ربيعة

... حدثناك منذ قليل عن نبوغ طرفه ، ولكن هنا نوع آخر من النبوغ نبوغ لبيد يبدأ عنفا وشدة وصرحة داوية فى سبيل تعصبه لقبيلته ونصرتها اذ تقدم لهجو الربيع الذى طمس فى العامريين عند النعمان ، تقدم وهو غلام صغير الى النعمان بن المنذر ليهجو نديمه الربيع بن زياد ، وإذا قلت النعمان وربيع فانما أقول مليكا ووزيرا محبوبا يتقدم غلام صغير ميغير عليه قلبه بكلمات قلائل يقولها ؛ أن هذا لدليل على عبقرية فذة لازمت لبيدا منذ صغره ، عبقرية ليست بهينة لانها غيرت قلب ملك على نديمه (١) ، ولانها بدأت قوية ، وأخذت في النمو والازدياد حتي وصلت الي الحركة

---

(١) فى قوله .

يارب هيجا هى من دعه * اذ لاتزال هامتى مفزعة
نحن بنى أم البنين الاربعة * ونحن خير عامر بن صعصعة
المطعمون الجفنة المدعدعة * والضاربون الهام تحت الخيضمة
مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه * ان استه من برص ملمعه
وانه يدخل فيها إصبعه * يدخله حتى يوارى أشجعه
كأنما يطلب شيئا اودعه

نحب أن نقف وقفات أطول عند شعر هذا الشاعر الذى اعجبنا به غلاما ، وكلما تقدمت به السن زاد اعجابنا حتى اذا ظهر النبي الكريم يدعو الى اله واحد يتقدم مؤمنا به ناصراً له متخذاً منه فى حياته نوعا من الشعر غير شعر الكلم ، نوعا من الشعور الروحى شعور النفس بقوة الايمان وشعور الروح بجمال الروحانية . حتى اذا ماقاربته الوفاة نجده ما نحس بالالم يحترق أشدتنا اذ يقول ذاكرى أشد أوقاته وفاء الصداقة وقيام الجوار .

تمني ابنتاى أن يعيش أبوهما * وهل أنا الا من ربيعه أو مضر
اذا حان يوما ان يموت أبوكما * فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى ليس جاره * مضاعا ولاخان الصديق ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

* * *

انظر كيف يبدأ معلقة بقوله .

عفت الديار محلها فمقامها * بمنى تأبد غولها فرجامها
فمدافع الريان عرى رسمها * خلقا كما ضمن الوحى (١) سلامها
ومن محرم بعد عهد أنيسها * حجج خلون حلالها وحرامها
رزقت مرابيع النجوم وصابها * ودق الرواعد جودها فرهامها
من كل سارية وغاد مدجن * وعشية متجاوب ارزامها (٢)
فعلا فروع الايهقان وأطفلت * بالجلهتين ظباؤها ونعامها

---

(١) جمع وحى وهو الكتاب
(٢) الكل رزمة أى شديد صوت

والعين ساكنة على أطلائها * عوذاً تأجل بالفضاء بهامها

وجلا السيول عن الطلول كأنها * زبر تجد متونها أقلامها

أو رجع واشمة أسف نؤورها * كففا تعرض فوقهن وشامها

ثم خرج بعد ذلك إلى وقوفه يسألها بعد ذكره عفاءها .

فوقفت أسألها وكيف سؤالنا * صما خوالد ما يبين كلامها

عريت وكان بها الجميع فأبكروا * منها وغودر نؤيها وثمامها

شاقتك ظعن الحي حين تحملوا * فتكنسوا قطنا تصر خيامها

من كل محفوف يظل عصيه * زوج عليه كلة وقرامها

زجلا كأن نعاج توضح فوقها * وظباء وجرة عطفا أرآمها

حفزت وزايلها السراب كأنها * أجزاع بيشة أثلها ورضامها

بل ما تذكر من نوار وقد نأت * وتقطعت أسبابها ورمامها

فإذا ما وصل إلى ذكر نوار هاجته الذكرى فيندفع قائلا .

مرية حلت بفيد وجاورت * أهل الحجاز فأين منك مرامها

بمشارق الجبلين أو بمحجر * فتضمنتها فردة فرخامها

فصوائق إن أيمنت فمظنة * منها وحاف القهر أو طلخامها

فاقطع لبانة من تعرض وصله * ولشر واصل خلة صرامها

واحب المجامل(١) بالجزيل وصرمه * باق إذا ظلعت وزاغ قوامها

بطليح أسفار تركن بقية * منها فأحنق صلبها وسنامها

فإذا تغالى لحمها وتحسرت * وتقطعت بعد الكلال خدامها

(١) الذي يجامل بالمودة

قلها حباب فى الزمام كأنها * صهباء خف مع الجنوب جهامها
أو ملع وسقت لأحقب لاحه * طرد الفحول وضربها وكدامها
يعلو بها حدب الاكام مسحج * قد رابه عصيانها ووحامها
بأحزة الثلبوت يربأ فوقها * قفر المراقب خوفها آرامها
حتى اذا سلخا جمادى ستة (١) * جزأ فطال صيامه وصيامها
رجعا بأمرهما الى ذى مرة * حصد ونجح صريمة ابرامها
ورمى دوابرها السفا وتهيجت * ريح المصايف سومها وسهامها
فتنازعا سبطا يطير ظلاله * كدخان مشعلة يشب ضرامها
مشمولة غلثت بنابت عرفج * كدخان نار ساطع أسنامها
فمضى وقدمها وكانت عادة * منه اذا هى عردت اقدامها
فتوسطا عرض السرى وصدعا * مسجورة متجاورا قلامها
محفوفة وسط اليراع يظلها * منه مصرع غابة وقيامها
أفتلك أم وحشية مسبوعة * خذلت وهادية الصوار قوامها
خنساء ضيعت الفرير فلم يرم * عرض الشقائق طوفها وبغامها
لمعفر قهد تنازع شلوه * غبس كواسب لا يمن طعامها
صادفن منها غرة فأصبنها * ان المنايا لا تطيش سهامها
باتت وأسبل واكف من ديمة * يروى الخمائل دائما تسجامها
يعلو طريقة متنها متواتر * في ليلة كفر النجوم غمامها

---

(١) أراد ستة أشهر آخرها جمادى

فتجتاف أصلا قالصا متنبذا * بعجوب أنقاء يميل هيامها
تضيء في وجه الظلام منيرة * كجمانة البحري سل نظامها
حتى اذا حسر الظلام واسفرت * بكرت تزل عن الثرى أزلامها (١)
علهت تردد في نهاء صعائد * سبعاً تؤاما كاملا أيامها
حتى اذ يئست وأسحق حالق * لم يبله ارضاعها وفطامها
وتوجست رز الانيس فراعها * عن ظهر غيب والانيس سقامها
فغدت كلا الفرجين تحسب أنه * مولى المخافة خلفها وأمامها
حتى اذا يئس الرماة وأرسلوا * غضفاً دواجن قافلا أعصامها
فلحقن واعتكرت لها مدرية * كالسمهرية حدها وتمامها
لتذودهن وأيقنت ان لم تذد * ان قد أحم من الحتوف حمامها
فتقصدت منها كساب فضرجت * بدم وغودر في المكر سخامها
فبتلك اذ رقص اللوامع بالضحى * واجتاب أردية السراب اكامها
أقضي اللبانة لا أفرط ريبه * أو أن يلوم بحاجة لوامها

الى أن يقول مفتخراً بفعاله وقوله وقومه

انا اذا التقت المجامع لم يزل * منا لزاز عظيمة جشامها (٢)
ومقسم يعطي العشيرة حقها * ومغذمر لحقوقها هضامها (٣)

---

(١) قوائمها التي كالازلام أو أظافرها (٢) لزاز الخصوم هو الذى يصلح لان يلزهم . والجشام هو الذي يتكلف الامور على مشقة (٣) مغذمر من الغذمرة وهي الغضب . والهضام الظالم

فضلا وذوكرم يمين على الندى * سمح كسوب رغائب (١) غنامها
من معشر سنت لهم آباؤهم * ولكل قوم سنة وامامها
لا يطبعون (٢) ولا يبور فعالهم * اذ لا تميل مع الهوى احلامها
فاقنع بما قسم المليك فانما * قسم الخلائق بيننا علامها
واذا الامانة قسمت في معشر * أوفى بأوفر حظنا قسامها
فبنى (٣) لنا بيتا رفيعا سمكه * فسما اليه كهلها وغلامها
وهم السعاة اذا العشيرة أفظعت * وهم فوارسها وهم حكامها
وهم ربيع للمجاور فيهم * والمرملات اذا تطاول عامها
وهم العشيرة أن يبطىء حاسد * أو أن يميل مع العدو لئامها

فأي بلاغة فخر وأي تحدث بالنجدة والكرم وايواء الجار وزرانة القول، ممزوجا بالالفاظ الجزلة ذات المعاني الدقيقة والمقاصد السامية! ثم انظر اليه وقد تنازع بين عاطفتين، عاطفة الوصل وعاطفة رائد شرف النفس، لم يتردد ان يقول بقطع لبانة من لم يستقم وصله لان خير واصل هو من يحسن وضعا للقطيعة موضعها ويقول

فاقطع لبانة من تعرض وصله * ولخير واصل خلة صرامها

ثم انظر اليه ذاكرا الك بعد ذلك ان المخاصم لا يخلو من رجل من

---

(١) الرغائب جمع الرغيبة وهي العطاء الكثير. والامر للرغائب في فضلا تفضلا (٢) الطبع قاتيخ العرض. البور الفساد. الاحلام العقول
(٣) الضمير يعود على الخالق سبحانه وتعالى

قبيلته تقمع الخصوم وبة كلف الخصام ، وان منهم من قسم غنائم الحرب غيور على الشائر حقوتها ويغضب اذا ضاع شيء منها كما أنه لا يرضي ان تظلم عشيرته فيهضمها حقها اذا اقدمت على الظلم ، فيقول

اما اذا التقت المجامع لم يزل * منا لزاز عظيمة جشامها
ومقسم يعطي العشيرة حقوقها * ومغذمر لحقوقها هضامها

ثم يخرج من هذا وذاك الي الرضي بالقضاء والقدر ، فيقول

فاقنع بما قسم المليك فانما * قسم الخلائق بيننا علامها

. هنا يجب ان نقف لنتساءل هل ذكر لبيد هـذا البيت الدال على إيمانه بالقضاء والقدر في العصر الجاهلي ، مما يجعلنا نشك في صحته وأمثاله أم لا . أما نحن فنطمئن كل الاطمئنان لانا نعرف ان لبيدا كان يميل للحكمة في جميع أشعاره ، والحكمة كما قلنا وكما ذكرنا أول موصل للايمان لان الحكيم يفهم العالم ويدرك انه موجود بموجد ، فاذا أدرك هذا استطاع أن يصل الي ما يوحيه ايمان المؤمن من عقيدة ببقاء الروح وخلودها ومن ايمانه بالقضاء والقدر وعدم التبرم بالحياة لادراكه ان الله قسم بيننا الا ورزقا تقتضيه حكمته لامر يعلمه هو ولا نستطيع نحن الوصول الى سر حكمته !

فانا نجد في شعر لبيد كثيرا من الحكمة مثل قوله في رثاء النعمان

الا تسألان المرء ماذا يحاول * أنحب فيقضى أم ضلال وباطل (١)

م — (١) المحاولة استعمال الحيلة . النحب النذر

أرى الناس لا يدرون ماقدر أمرهم * بلى كل ذي لب الي الله واسل(١)
ألا كل شيء ماخلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
وكل اناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل «٢»
وكل امرىء يوما سيعلم غيبه * اذا كشفت عند الاله الحصائل«٣»

ولنجده يقرر فيه اموراً اسلامية اذ يقول سلوا هذا الحريص على الدنيا الراغب فيها هل عمل نذرا يلزمه عمله أم هو ضلال وباطل من من أمره ، الا ان الدنيا حقيرة سريعة الزوال فالعاقل من يتوسل الى الله بطاعته وامتثال أوامره بعمله الصالح واجتناب نواهيه وابتعاده عن المنكرات ، فالكل زائل ، وجميع ما في العالم باطل مضمحل ، وليس من دائم غير الله تعالي ، حتي اذا اذن مؤذن الموت تبينت اذ ذاك للانسان حسناته وسيئاته . ولكن مع هذا لا يمكن قلنا ان هذه المعاني ظهرت في النفس الانسانية قبل ظهور الاسلام ، لان الاسلام لم يجيء بكل الفضائل الانسانية والمعاني الروحانية دفعة واحدة ، بل أتى ليتمها ويكملها . اذن وجود هذه المعاني لايريبنا في معلقة لبيد ، ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير كلمة قالها شاعر قول لبيد (الا كل شيء ماخلا الله باطل) وهذه خير شهادة بورود هذه المعاني في معلقة لبيد . وبما أن المعروف عن لبيد

(١) الواسل الطالب والراغب الى الله (٢) الدويهيه الامر العظيم ويقصد به الموت . الانامل الاطراف (٣) جمع حصيلة والمراد الحسنات والسيئات

انه لم يقل فى اسلامه شعراً الا قوله

الحمد لله الذى لم يأتنى أجلي * حتى كسانى من الاسلام سربالا

فى رواية . وقوله فى أخرى

ماعاتب الحر الكريم كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالح

وقوله الابيات التي ذكرناها عند وفاته . يعزز هجره الشعر

وقوله لعمر بن الخطاب حينما سأله ان ينشده من شعره « ما كنت لأقول شعراً بعد اذ علمني الله سورة البقرة » فإذن فجميع شعره جاهلى . وهو وان يكن كجميع الشعر الجاهلي لا يخلو من بعض أبيات منتحلة ، لكنه في مجموعه للظروف التي أحاطت به يضيق الخناق على المنتحلين لأنهم لن يجدوا فيه الميدان الفسيح الذي وجدوه فى غيره ، ولان شاعريه لبيد من تلك الشاعريات المعقدة التي لا يسهل تقليدها لانه كزهير تظهر قوة التخيل في شعره ، ويزيد عنه انه صحابى جليل تحول مكانته بين كبار الرواة وبين الانتحال له ،

اذ كانت لم تحل بين صغار النفوس منهم اذلم تحل مكانة النبي بين كذب الرواة عليه ، ولكن حتى هؤلاء كان المجال أمامهم ضيقا ! ..

كلمة مجملة

عن باقي أصحاب المعلقات السبع

١ - عمرو بن كلثوم

.. هنا رواية قصصية ، اذ يقول الرواة أن مهلهلا لما تزوج هند بنت عتيبة ولدت له جارية ، فأمر أمها بقتلها ، واذا بها تف به في نومه يهتف به قائلا

كم من فتى مؤمل * وسيد شمردل
وعدد لا يجهل * في بطن بنت مهلهل

فلما استيقظ سأل عنها فقالت أمها . قتلتها ، فقال . لا ، واله ربيعة !.
ثم كبرت البنت وتزوجها كلثوم بن مالك . وعند حملها بعمرو هتف بها هاتف

ياك ليلى من ولد * يقدم اقدام الاسد
من جشم فيه العدد * أقول قولا ، لا فند

وعند ولادته قال لها هذا الهاتف

أنا زعيم لك أم عمرو * بماجد الجد كريم النجر
أشجع من ذى لبد هزبر * وقاص أقران شديد الاسر
يسودهم في خمسة وعشر

قال الرواة . وسادهم وهو ابن خمس عشرة سنة ! ثم حدثنا أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبه الدينوري فى كتابه الشعر والشعراء عن حديث فتك عمرو بن كلثوم بعمرو بن هند الملك حينما طلب ان تزور أم بن كلثوم أمه وأوعز اليها أن تستخدمها ، فدعا ء ثدة ونصبها ثم دعا بالطرف فقالت هند أم الملك لضيفتها ياليلي ناوليني ذلك الطبق فقالت لتقم صاحبة الحاجة الي حاجتها فأعادت عليها ، فلما ألحت صاحت ليـلي وأدلاه ، ياتغلب ، فسمعها ولدها فثار الدم في وجهه فقام الى سيف معلق لعمرو بن هنـد بالرواق فضرب به رأس الملك حتي قتله » !

فأنت ترى خيالا سيدأ فى حدث الهاتف ، وترى مغالاة فى قصة شجاعة عمرو ومغالاة فى اظهار ظلم عمرو بن هند ، لان المعروف عن العرب اكرام الضيف ، وليس من اكرام الضيف فى شيء أن يطلب منـه ان يخدم المضيف ، كما أنه اذا فرض وأراد الملك اذلال أم بن كلثوم بخدمتها لامه فان وسائل الاذلال كثيرة ، ليس منها هذه الوسيلة التي تنفر منها نفوس العرب كما نعلم من تاريخهم . . وهنا « بطل » من أبطال القصص ، بطل لانستطيع أن نستخرج من روايات الرواة عنه شيئا ، فبالاحرى لا نستطيع ان نجزم بنسبة ما ينسب اليه من شعر . على أن المعروف من روايات الرواة أن بن كلثوم كان عظيما ، شريفا ، فارساً ، شغلته الرياسة وخوض الحروب عن قول الشعر حتي أن خير ماينسب له معلقته المبنية على فخره بشجاعته وتعديد مآثر قومه ، انظر اليه مثلا وهو يقول فى معلقته

ألا هبي بصحنك (١) فاصبحينا (٢) * ولا تبقي خمور الاندرينا (٣)

مشعشعة (٤) كأن الحص فيها * اذا ما الماء خالطها سخينا

تجور بذي اللبانة عن هواه * اذا ما ذاقها حتى يلينا

ترى اللحز الشحيح اذا أمرت * عليه لماله فيها مهينا

صبنت (٥) الكأس عنا أم عمرو * وكان الكأس مجراها اليمينا

وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذي لا تصبحينا

وكأس قد شربت ببعلبك * وأخرى في دمشق وقاصرينا

وانا سوف تدركنا المنايا * مقدرة لنا ومقدرينا

قفي قبل التفرق يا ظعينا * نخبرك اليقين وتخبرينا

قفي نسألك هل أحدثت صرما * لوشك البين أم خنت الامينا

بيوم كريهة ضربا وطعنا * أقر به مواليك العيونا

وان غدا وان اليوم رهن * وبعد غد بما لا تعلمينا

تريك اذا دخلت على خلاء * وقد أمنت عيون الكاشحينا

ذراعي عيطل ادماء بكر * هجان اللون لم تقرأ جنينا

وثديا مثل حق العاج رخصا * حصانا من أكف اللامسينا

ومتني لدنة سمقت وطالت * روادفها تنوء بما ولينا

ومأكمة يضيق الباب عنها * وكشحا قد جننت به جنونا

---

(١) الصحن : القدح العظيم (٢) اسقينا الصبوح وهو ما أصبح عندهم من الشراب (٣) قرية بالشام (٤) ممزوجة (٥) صرفت

وساريتي بلنط أو رخام * ي ن خشاش حليهما رنينا
فما رجدت كوجدي أم سقب * أضلته فرجعت الحنينا
ولا شمطاء لم يترك شقاها * لها من تسعة الا جنينا
تذكرت الصبا واشتقت لما * رأيت حمولها أصلا حدينا
فأعرضت اليمامة واشمخرت * كأسـ ياف بأيدى مصلتينا
أبا هنـد فلا تعجل علينا * وأنظرنا نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضا * ونصدرهن حمراً قد روينا
الى أن يقول
ألا لا يعلم الاقوام أنا * تضعضعنا وأنا قـد ونينا
الا لايجهلن أحـد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا
بأي مشيئة عمرو بن هند * نكون لقيلكم فيها قطينا
بأي مشيئة عمرو بن هند * تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تهددنا وأوعدنا رويداً * متى كنا لامك مقتوينا
فان قناتنا يا عمرو أعيت * على الاعـداء قبلك أن تلينا
اذا عض الثقاف بها اشمأزت * وولتهم عشوزنة زبونا
عشوزنة اذا انقلبت أرنت * تشج قفا المثقف والجبينا
الى أن يقول في خاتمتها
وقد علم القبائل من معد * اذا قبب بابطحها بنينا (١)

---

(١) الابطح والبطحاء مسيل واسع فيه دقاق الحصى

بأنا المطعمون اذا قدرنا * وأنا المهلكون اذا ابتلينا
وأنا المانعون لما أردنا * وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا التاركون اذا سخطنا * وانا الآخذون اذا رضينا
ونشرب ان وردنا الماء صفواً * ويشرب غيرنا كدراً وطينا
اذا ما الملك سام الناس خسفاً(١) * أبينا أن نقر الذل فينا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها * ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاة ظالمين وما ظلمنا * ولكنا سنبدأ ظالمينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا * ونحن البحر نملؤه سفينا
اذا بلغ الرضيع لنا فطاما * تخر له الجبابر ساجدينا

فنجد شكا شديداً ناتجا عن انتقال كثير فى القصيدة من الشدة فى اللفظ الي الليونة فيه ، هذا علي أن القدماء أنفسهم شكوا فى نسبة كثير من أبيات هذه المعلقة لصاحبها اذ يروون ان الابيات الثلاثة من قوله (صبنت الكأس عنا أم عمرو) الي قوله (وكأس قد شربت ببعلبك) ليست له بل هي دخيلة علي قصيدته اذ أنها لعمرو بن عدى اللخمي بن أخت جذيمة الابرش ، ويروون أن الجن خطفته فرعاه مالك وعقيل تسقيهما أم عمرو هذه صبنت الكأس عنه فلما قال البيتين الاولين سقته الخ القصة . هذا علي سقوط أبيات كثيرة من معظم الرواة ، وانكار بعض المتقدمين بعض أبيات مثل انكار المفضل الضبى بيت

لتستلبن أفراساً وبيضا * وأسرى فى الحديد مقرنينا

وقوله ان هذا البيت ليس من القصيدة

ب ـ عنتره بن شداد

و عنتره ، بطل من أبطال الحروب ، غالي القاطميون في ذكر حوادث شجاعته وعلوه د وا ما لا يخفى علي صبين ن الكاتب انه مسحول لان القصص التي تحدث عنها تمت الي خرافات العجائز بسبب كبير ، واصل أعظم قصيد تين له ، لماثية التي قال ن . بيها سمية امرأة أبيه اذا دعت أنه راودها من نفسها فأغضبت بذلك أباه عليه ، فضربه مريدا قتله فوقعت عليه سمية التي يقال انها كف عن عنترة لا و فقال

أمن سمية دمع العين مذروف * لو أن ذا منك قبل اليوم معروف

والمعلقة التي كانت أول ما قاله وسببها كما يقولون ن رجلا عيره بسواده وعدم قول الشعر فجادت قريحته بها وقال

هل غادر الشعراء من متردم * ام هل عرفت الدار بعد توهم

أعيك رسم الدار لم يتكلم * حتى تكلم كالاصم الاعجم

ولقد حبست بها طويلا ناقتي * أشكو الى سفع رواكد جثم

يا دار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

دار لآنسة غضيض طرفها * طوع العناق لذيذة المتبسم

ثم ختمها بقوله

ولقد خشيت بأن اموت ولم تدر * للحرب دائرة على ابني ضمضم

الشاتمي عرضي ولم أشتمها * والناذرين اذا لقيتهما دمي

أن يفعلا فلقد تركت أباهما * جزر السباع وكل نسر قشعم

المعلقة على ما فيها من ذكر خصاله ومكارم قومه ودفاعه عنهم وتمريجه

على وصف أمور كثيرة . على ما فيها من سهولة الالفاظ والشدة في الحماسة والفخر وانسجام تبه لشاعر به مطال مثل عنترة . لم تخل من عبث الرواة يزيد . ر أبياتا ذاشاء ا يشا . له اذ أراد . ويخبرها بعضهم منه لا علي والزوني فا ير ات كالتي ذكر ناه . بيا نخبها مثل محمد بن حطاب بعد (ولقد كررت المهر) باربعة ابيات غير الثلاثة التي ذكرنا

ذ تقي عمرو و دعى عدوة ✱ حذر الاسنة اذ شمر عن فدمهم

يحمى كتيبته وسمي حلفها ✱ يقري عوانقها كالغ الارثم

ولقد كشفت الخدرعن مربوبة ✱ ولقد وقفت على لو شمر مصم

ولرب يوم قد ظهرت وليلة ✱ عسور ذي بارقين مسوم

فالك أنت أن تستنتج من هذا الخلط مانرى ! !

٣ الحارث بن حلزة

هذا شعر أبرص رتجل معلقته (آذنت ببينها أسماء) بين يدى عمرو ابن هند في خصومة كانت بين بكر وتغلب . والمعلقة طويلة نذكر مطلعها

آذنتنا ببينها أسماء ✱ رب ثاو يمل منه الثواء

وقوله فيها وهو خير ماقيل في وصف التأهب للرحيل

أجمعوا أمرهم عشاء فلما ✱ أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

من ماد ومن مجيب ومن تصـ ✱ ـهال خيـل خلال ذاك رغاء

ونرى أن سبب الاقوى لهذا الترجيح قوة المعلقة في أحكام نظمها وكثرة غريبها وشمالها على الكثير من وقائع العرب مالا يحكمه الارتجال الذي زعمه الرواة للحارث

(تم بحمد الله)

الخـــاتمه

ولم نرد بما كتبنا غير أن نرى منهجاً من مناهج البحث الجديدة وطريقة طريفه لدراسة الشعر والشعراء ، لذلك أتينا بذكر أصحاب المعلقات وكنا نود أن يطول بنا الوقت لذكر الاعشى ميمون والنابغة الذبيانى وعبيد ابن الابرص وغيرهم من شعراء الجاهلية ، ولكننا فضلنا أن يكون البحث قاصراً على السبعة الذين ذكرنا ، راجين أن تتاح لنا الفرصة فى وقت أطول من الساعات التى كنت أختلسها من وقتي لدراسة هؤلاء الشعراء دراسة تمهيدية لا يقصد منها أشباع رغبة قارئها ، بل اعطاءه فكرة عامة عن السبيل الى المباحث كما نرجو أن نكون قد وفقنا فيما أردنا من تمهيد وما قصدنا من توطئه والسلام

محمود علي قراعه